البابا شنودة الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

الكتاب	
تصدير	٣
الوجود مع الله	٤
أوقات الإحساس بالوجود مع الله	١٨
شهوة الوجود مع الله	٢٦
طبيعة العلاقة مع الله	٣٠
مشاعر الوجود مع الله	٣٥
فهرست مفصل	٥٥

البابا شنودة الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD

BY H.H. POPE SHENOUDA III

الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٢

1ST print
January 1982

باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

تصدير

نقدم لك أيها القارئ العزيز خمس محاضرات ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى أيام الجمع مع أول مايو ١٩٧٠ إلى ٥ يونيو ١٩٧٠، عن "الوجود مع الله". وذلك فى فترة الخماسين يوماً المقدسة، والكنيسة تتذكر وجود التلاميذ فى حضرة الرب، فى تلك الأيام المملوءة فرحاً.

وتطرق هذه المحاضرات إلى حقيقة الوجود مع الله و الإحساس بهذا الوجود.

والأوقات التى نحس فيه أننا مع الله.

وشهوة الوجود مع الله.

والمشاعر والعلامات التى تصاحب الوجود مع الله: مثل الحب، الفرح، السلام، الخشوع، البر والقداسة، الشجاعة وعدم الخوف...

نقدمها لك بعد مرور أحد عشر عاماً على إلقائها، لعلك لم تسمعها فى ذلك الحين.

شنودة الثالث.

الفهرس

[١]

الوجود مع الله

"الذين أراهم أيضاً نفسه حياً، ببراهين كثيرة، بعدما تألم"،"وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله".

(أع ١ : ٣).

الفهرس

هذه الأربعين يوماً...

أود أن أكلمكم اليوم عن هذه الأربعين يوماً، التى قضاها المسيح مع تلاميذه بعد القيامة، وعن دلالاتها، والفوائد الروحية التى نجنيها منها...

أعمال كثيرة عملها الرب قبل صلبه وموته عنا، وأعمال أخرى عملها بعد قيامته... فقد قضى هذه الأربعين يوماً مع تلاميذه، يحدثهم عن الأمور المختصة بالملكوت:

يضع لهم أساس الكنيسة، ويسلمهم عقائدها وطقوسها، يسلمهم الأمور الخاصة بالرعاية، ويثبتهم فى الإيمان...

يحولهم من الخوف والفزع والإضطراب والشك، إلى اليقين والقوة، فى صلابة الإيمان. يجعلهم بعد الأربعين يوماً مستعدين أن يجاهوا العالم كله بقلب قوى. لقد أخرج من العلية هؤلاء الخائفين المختبئين، لكى ينشروا الإيمان فى العالم كله...

كانت أياماً لازمة لتأسيس الكنيسة. وكانت أيام فرح:

لقد قال الرب من قبل "ولكن حزنكم يتحول إلى فرح... سأراكم فتفرح قلوبكم. ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو ١٦ : ٢٠ ، ٢٢).

واحتفال بهذا الفرح، لا تصوم الكنيسة، ولا تنقطع عن الطعام، لأن الرب قال: هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟! مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا، ولكن ستأتى أيام، حين يرفع العريس عنهم، حينئذ يصومون (مر ٢ : ١٩ ، ٢٠).

ولذلك فحتى صوم يومى الأربع والجمعة، الذى تصومه الكنيسة على مدار السنة، ولا تمنعه سوى الأعياد السيدية الكبرى، هذا الصوم يمتنع فى هذه الأيام، التى لا نذكر فيها الصلب ولا التآمر، إنما نذكر وجود الرب مع تلاميذه...

أيام الفرح هذه، أيام لقاء الرب بخاصته وأحبائه، ليس فيها أيضاً مطانيات تذلل، ولا فيها ألحان حزن... حتى أنه إذا توفى خلالها أحد المؤمنين، يدخل الكنيسة بلحن الفرح، بلحن القيامة، ولا تسمعون مطلقاً لحناً حزيناً فى الجنازات...

إنها أيام جميلة فى اختباراتها الروحية، وفى أحداثها، وفى فاعليتها. وأفضل تدريب فيها هو إختبار الوجود مع الله...

الله مع أحبائه...

كان التلاميذ فرحين إذ رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠).

وكان الرب فرحاً جداً بوجوده فى وسط أحبائه.

هذا الذى "أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو ١٣ : ١)... إنه يريد أن يكون معنا، وأن نكون نحن أيضاً معه، الآن وإلى إنقضاء الدهر...

أليس إسمه عمانوئيل، الذى تفسيره الله معنا (مت ١ : ٢٣).

لذلك قال لتلاميذه فى يوم الخميس الكبير:

"أنا ماض لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً، آتى أيضاً وآخذكم إلىّ، حتى حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً" (يو ١٤ : ٣).

ونفس هذا المعنى، قاله فى مناجاته للآب:

"أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى، يكونون معى حيث أكون أنا" (يو ١٧ : ٢٤).

إنه لا يريد فقط أن نكون معه فى الأبدية، إنما يعدنا بذلك على الأرض أيضاً، فيقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (متى ٢٨ : ٢٠) وأيضاً "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى، فهناك أكون فى وسطهم" (متى ١٨ : ٢٠).

وبالنسبة إلى كل فرد يحبه، يقول "إن أحبنى أحد يحفظ كلامى، ويحبه أبى، وإليه نأتى، وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٣ : ٢٣).

وليس فقط عن الأحياء ههنا، بل أيضاً عن الذين إنتقلوا إلى الفردوس، قال للص اليمين "اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو ٢٣ : ٤٢).

ومع الخدام والرعاة، يقول عنه سفر الرؤيا "الممسك السبعة الكواكب فى يمينه، الماشى فى وسط السبع المنائر الذهبية" (رؤ ٢ : ١). أى أنه فى وسط الكنائس، وفى يديه رعاها...

هذا الذى يوجد معنا، على الأرض، وفى الفردوس، وفى الأبدية، فى وسط الكنائس، ومع الرعاة، ومع المصلين فى كل مكان على الأرض، ومع كل إنسان يحبة...

ترى على أى شئ يدل هذا؟

أيدل هذا على محبته، أم على لاهوته إذ هو فى كل مكان؟ أم على الأقل... وجوده معنا...

أيضاً فى مجيئه الثانى، نلمح نفس هذه الحقيقة: سيأتى على السحاب، ومعه ربوات قديسيه (يه ١٤). وحينما يجلس للدينونة، يكون أحباؤه معه "... على اثنى عشر كرسياً، يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر" (متى ١٩ : ٢٨).

وفى هذا المجئ الثانى، يقول القديس بولس الرسول:

"ثم نحن الأحياء الباقين، سنخطف معهم جميعاً فى السحب، لملاقاة الرب فى الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام" (١تسى ٤ : ١٧ ، ١٨).

نعم ما أحلى هذه الأنشوده: ونكون كل حين مع الرب.

لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام...

حقاً، إن الوجود كل حين مع الرب، هو "ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر.".

ما أجمل أن الرب فى التجلى، لم يكن وحده...

ظهر معه فى هذا التجلى موسى وإيليا، رمزاً للمتزوجين والبتوليين، رمزاً للذين ماتوا والذين لم يموتوا بعد، ورمزاً لأهل الوداعة يمثلهم موسى (عد ١٢ : ٣). وأهل الحزم يمثلهم إيليا (١مل ١٨ : ٤٠). الكل مع الرب على جبل التجلى...

ولكى تكمل الصورة، فى حادث التجلى، قال الكتاب إن الرب أخذ معه إلى الجبل بطرس ويعقوب ويوحنا (متى ١٧ : ١)... فكانوا معه... رأوا هذا المجد، وسمعوا الصوت من السحابة...

ومجد التجلى، يذكرنا أيضاً بأورشليم السمائية، حيث نرى الله يسكن مع شعبه، وفى ذلك يقول القديس يوحنا الرائى: وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً:

"هوذا مسكن الله مع الناس. وهو يسكن معهم".

"وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم، إلهاً لهم" (رؤ ٢١ : ٣).

إنها نفس الصورة القديمة لخيمة الإجتماع "الله وسط شعبه". ولكنها هنا فى مجد وحب وبر، حيث لا خطية من الناس تحتاج إلى ذبيحة، بل الكل طاهر...

كل هذا نتذكره فى الأربعين يوماً، ونحن نضع أمامنا صورة الرب وسط تلاميذه القديسين، أحبائه وأولاده...

إننا فى هذه الأيام نحتفل بوجود الله معنا، أو على الأقل نطلب إليه ذلك، كما فعل تلميذا عمواس، إذ ألزماه قائلين:

"أمكث معنا، لأنه نحو المساء، وقد مال النهار" (لو ٢٤ : ٢٩).

يقول الإنجيل، مكملاً هذا المعنى الجميل، إنه "دخل ليمكث معهما. ولما اتكأ، أخذ خبزاً وبارك وكسر، وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه"...

ما أحوج كل منا أن يقول له: امكث معى ياسيدى. وكما باركت فى ذلك الزمان الآن أيضاً بارك...

من ذلك الزمان...

إن قصة "الله معنا" هى قصة قديمة، ودائمة... ما أكثر ما ترددت فى الكتاب، وسمعها واختبرها آباؤنا القديسون...

بدأت منذ كان الله مع آدم فى الفردوس...

وهناك كان يكلمه، ويباركه، ويمنحه أيضاً سلطاناً (تك ١). وبالخطية زال الإحساس بالوجود فى الحضرة الإلهية، وشعر الخاطئ بانفصاله عن الله. وظهر هذا الإنفاصل فى عمقه، حينما صرخ قايين قائلاً للرب "ذنبى أعظم من أن يحتمل. إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى" (تك ١٤ : ١٣ ، ١٤).

نعم، إن الخطية تسبب إنفصالاً عن الله...

فيها يصرخ الخاطئ ويقول "لا تطرحنى من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه منى" (مز ٥٠) "لا تصرف وجعك عنى" "حتى متى تحجب وجهك عنى" (مز ١٢).

حينما يبتعد الإنسان عن الله، يحس الله مبتعداً عنه...

وأحياناً يحس ذلك وقت الخوف. والخوف ليس من الإيمان.

وهكذا يقول المرتل فى خوفه من مؤامرات الأشرار "لماذا يارب تقف بعيداً. لماذا تختفى فى أزمنة الضيق؟" (مز ١٠ : ١).

لذلك يحرص الله أن يعزى أولادة، ويشعرهم بوجوده معهم فى كل ضيقاتهم. وهكذا قال لعبده يشوع بعد موت موسى:

"كما كنت مع موسى، أكون معك. لا أهملك ولا أتركك"

تشدد وتشجع، لاترهب ولا ترتعب. لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب... لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك" (يش ١ : ٥ ، ٩).

نفس التشجيع، كان أيضاً من الله لأرمياء الصغير:

"لا تخف من وجوههم، لأنى أنا معك لأنقذك، يقول الرب" "يحاربونك ولا يقدرون عليك، لأنى أنا معك يقول الرب، لأنقذك" "هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة، وعمود حديد، وأسوار نحاس على كل الأرض" (أر ١ : ٨ ، ١٩ ، ١٨).

نفس التشجيع الذى كان ليشوع وأرمياء، كان أيضاً لبولس:

قال الرب لبولس لما قاومه اليهود جداً فى كورنثوس:

"لا تخف، بل تكلم ولا تسكت. لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع ١٨ : ٩ ، ١٠).

إن الشعور بوجود الله مع الإنسان، يعطيه قوة وثقة.

لهذا فإن مراحم الله وتعزياته تشعر الإنسان بوجود الله معه، لكى يتعزى ويتقوى، وتكون له جسارة قلب، من النعمة، لمواجهة كل ضيق، فلا يخاف من أعدائه مهما اعتزوا جداً...

وفى قصة الثلاثة فتية، لم يكن الأمر مجرد وعود إلهية. إنما كان الرب معهم فعلاً، وهم فى أتون النار، فلم تقو على أيذائهم، وسبحوا الله داخل الأتون...

إن قصة الثلاثة فتية مثال قوى للوجود مع الله.

وقد كانت هذه القصة مصدر عزاء عميق للأجيال، ونحن نتغنى بها فى التسبحة كل يوم حينما نرتل الإبصلمودية...

وكما أن الثلاثة فتية لم يخافوا النار لشعورهم بأن الله مهم، كذلك لم يخف دانيال من إلقائه فى جب الأسود... وكذلك كان المرتل مطمئناً، حينما قال:

"إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز ٢٣ : ٤).

وبنفس الروح قال "الرب نورى وخلاصى ممن أخاف؟!... إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى. وإن قام على قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧ : ١ ، ٢).

طالما السحابة فوق رأسك، فأنت لا تخاف حتى إن دخلت فى قلب البحر الأحمر، أو همت سنوات فى برية سيناء...

إن الشعور بالوجود فى حضرة الله، لا يجعل الإنسان يخاف، مهما كانت الأخطار محدقة. وأيضاً هناك فائدة أخرى:

شعورك بالوجود فى حضرة الله، يمنحك استحياء فلا تخطئ.

هكذا كان يوسف الصديق... كان يشعر أنه واقف قدام الله، والله يراه. فكيف يخطئ، ويفعل ذلك الشر العظيم قدام الله!! وهكذا شعر بأنه يتعامل مع الله، أعطاه إستحياء فى قلبه، وارتفاعاً عن مستوى الخطية.

حقا، إن الإنسان أثناء إرتكابه للخطية لا يكون فى حالة شعور بالوجود فى الحضرة الإلهية... لا يكون الله أمام عينيه، ولا فى فكره، ولا فى قلبه... بل يكون فى حالة إنفصال عنه، لأنه لا شركة للنور مع الظلمة.

على أنه كثيراً ما يحيط بنا الله فى وقت الخطية، لكى ينقذنا منها، كما يحيط بنا وقت الخطر أو الخوف لينقذنا منهما... ولكننا للأسف قد لا نشعر بيد الله تلمسنا لنستيقظ، أو تلمسنا لنتقوى. ما أعمق قول القديس أوغسطينوس:

كنت يارب معى، لكننى من فرط شقاوتى، لم أكن معك.

إن وجود الله شئ، والإحساس بوجوده شئ آخر..

عدم إدراك وجود الله...

قد يكون الله مع بعض الناس، ومع ذلك فهم لا يشعرون بوجوده معهم، ربما لشئ فى فكرهم، أول لظروف تحيط بهم، تعوقهم عن الإحساس بوجود الله وعمله...

- **مثال لذلك: جدعون...**

كان الله معه. وقد شهد ملاك الرب بذلك قائلاً له: الرب معك ياجبار البأس (قض ٦ : ١٢). أما جدعون الذى لم يكن يشعر بوجود الله فى حياة الشعب، فقد ردّ على الملاك قائلاً "اسألك ياسيدى: إن كان الرب معنا، فلماذا أصابنا كل هذه؟ وأين كل عجائبه التى اخبرنا بها آباؤنا؟...".

كان إيمان جدعون فى بدائته، يريد أن يلمس بأصابعه...

ولم يكن يتصور وجود الله، يتفق مع وجود الضيقات!!

فى منطقه وقتذاك: إما أن يكون الله موجود معهم، وحينئذ لا يمكن أن تصيبهم الضيقات...! وإما أن تكون الضيقات الموجوده دليلاً على عدم وجود الله معهم..!

إنه الإيمان، بدون الصليب!! أو الإيمان الذى يريد الحياة سهلة! أو الإيمان الذى يضع لله توقيتاً عاجلاً لعملة، ولا يستطيع أن ينتظر الرب من محرس الصبح إلى الليل (مز ١٣٠).

- **مثال آخر: المجدلية، وتلميذا عمواس...**

المجدلية ظهر لها السيد المسيح بعد قيامته، فظنته البستانى، وكان معها ولكنها لم تعرف أنه هو. وعلى الرغم من وجوده معها، كانت لا تزال تفكر أن جسده قد سُرق، وربما يكون البستانى قد سرقه، وتسأل: قل لى أين وضعته؟! (يو ٢٠ : ١٤ ، ١٥).

وتلميذا عمواس، ظهر لهما أيضاً السيد المسيح، وتحدث معهما، ومع أن قلبهما كان ملتهباً فيهما أثناء حديثه معهما، ولكن "أعينهما أمسكت عن معرفته". و لم يدركا أنه هو، إلا بعد إختفائه عنهما! (لو ٢٤ : ١٦ ، ٣٢).

ما أكثر ما يكون الرب معنا، ونحن لا ندرك!

- **مثال صموئيل النبى:**

تحدث إليه الرب ثلاث مرات فى طفولته، وهو لا يميز الصوت، ويظن أنه صوت عالى الكاهن، وليس صوت الله!

وفى المرة الرابعة، لما أجاب "تكلم يارب فإن عبدك سامع" كان بناء على نصيحة عالى، وليس لموهبة تمييز (١صم ٣ : ٤ ، ٤ — ١٠). ولكن صموئيل نما فى الروح، وصار يشعر بالوجود الإلهى، ويميز صوت الله، يتكلم إليه أو على فمه.

- **مثال أبينا إبراهيم:**

زاره الرب مع ملاكين، ولكنه لم يميز أن هذا هو الرب، و لم يشعر بالوجود الإلهى، بدليل قوله له: "ياسيد، إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك، فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون" (تك ١٨ : ٣ — ٥).

ولو شعر أنه موجود فى حضرة الله وملائكته، ما كان يحضر كسرة خبز ليسندوا قلوبهم! ما كان يذبح عجلاً، ولا يصنع لهم خبز ملة، ولا يحضر لهم زبداً ولبناً...!

على أن أبانا إبراهيم أدرك أنه فى حضرة الله فيما بعد، لما أعلن له الله ذاته.

❖ **مثال اللص الشمال:**

كان إلى جوار الرب على الصليب، و لم يستفد من هذه العشرة الإلهية، بل كان يجدف عليه. و لم يدرك هو، حتى يقول له مع زميله اللص اليمين "اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك". بل ظل يستهزأ به. ومات هذا اللص فى خطيئته و لم يستطع أن يقول مع بولس الرسول "مع المسيح صلبت" (غل ٢ : ٢٠) لأنه لم يؤمن أنه المسيح. إنه لم يمت مع المسيح كاللص اليمين وإنما مات إلى جواره، وقلبه بعيد عنه.

❖ **مثال الظلمة لم تدركه:**

عاش المسيح وسط اهله وعشيرته، و لم يدركوا أنه هو. "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" هذا النور الحقيقى أشرق فى الظلمة "والظلمة لم تدركه" (يو ١ : ٥ ، ١١). ومع أنه عاش بينهم، لم يشعروا بوجوده، بل قالوا عليه إنه ضال، ومضل، وكاسر للسبت، وناقض للشريعة، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين. ورفضوه وقدموه للصليب...

وحتى أهل قريته لم يؤمنوا به، وعيروه بأنه إبن النجار، حتى قيل "ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه"!

كل هؤلاء وأمثالهم، كان الله موجوداً معهم، ولكنهم لم يتمتعوا بالوجود الإلهى، و لم ينالوا بركته وفاعليته.

إن الوجود مع الله، ليس مجرد وجود مكانى، إنما هو وجود قلبى وعاطفى وعملى، له آثاره...

❖ **مثال الشيطان:**

فى قصة أيوب، كان الشيطان واقفاً فى الحضرة الإلهية "جاء بنوا الله ليمثلوا أمام الرب. وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم" (أى ١ : ٦). ومرة أخرى "جاء الشيطان أيضاً فى وسطهم، ليمثل أمام الرب" (أى ٢ : ١). وكان له شرف الحديث مع الله. ولكنه لم يستفد شيئاً، و لم يتمتع بالوجود فى حضرة الله، بل أضاف إلى شره شراً.

وفى التجربة على الجبل، التقى الشيطان بالرب، وبنفس الأسلوب أضاف إلى شره شراً، و لم يتمتع بالوجود مع الله.

❖ **وأمثلة بعض الخطاه:**

قايين وقف أمام الله مرتين: مرة نصحه فيها الرب وأرشده، ولكنه لم يستفيد شيئاً لأن قلبه لم يكن مع الله، واستسلم للخطية الرابضة. والمرة الثانية وقف فى الحضرة الألهية، و لم يتمتع بالوجود الإلهى، إنما استمع إلى دينونته (تك ٤ : ٦ ، ٩).

والشاب الغنى تمتع بالحضرة الإلهية إلى لحظات، ونظر إليه الرب يسوع وأحبه. ولكنه خرج من المقابلة حزيناً، لأنه كان ذا أموال كثيرة، و لم يستفد من نصيحة الرب.

وبالمثل أولئك الذين دعاهم الرب للخدمة فاعتذروا.

وبالمثل العبد البطال صاحب الوزنة الواحدة.

ويعوزنا الوقت إن ضربنا أمثلة لأشخاص وجدوا فى حضرة الله و لم يستفيدوا بل أدينوا. لذلك قلنا إنه ليس وجوداً مكانياً هذا الذى نعنيه، بل وجود فى القلب، فى حب...

إن كانت مأساة، أنك توجد فى حضرة الله، ولاتشعر به فمأساة أكثر أن توجد فى حضرته وتحاربه، وتأخذ دينونته، أو توجد فى حضرته فى لا مبالاة.

كالذين يحضرون إلى الكنيسة، يقفون أمام الله، فى بيته، بتهاون، أو بفكر شارد. أو الذين يتناولون من الأسرار المقدسة، كعادة، بلا عمق، ويخرجون من التناول ليخطئوا كما كانوا...

لذلك كله، نحب أن تكون المشاعر متناسبة مع الوجود الإلهى.

وكم من مرة، تقابل مع الرب الكتبة والفريسيون والصديقيون والكهنة وشيوخ الشعب، ولكن قلوبهم لم تكن معه، ونيتهم لم تكن صافية للإستفادة منه، بل أن بعضهم كان يسعى أن يصطاده بكلمة. لذلك كان وجودهم مع الرب دينونة عليهم وليس نفعاً.

كذلك الفريسى الذى استضافه فى بيته وليس فى قلبه، وكان يراقب والمرأة الخاطئة تسكب دموعها على قدميه، ويدينه فى فكره. و لم يستفد من الوجود فى حضرة الله.

مشاعر تناسب الوجود مع الله...

١–ينبغى أولاً أن يكون لنا إيمان بوجود الله معنا.

الإيمان بوعوده، والإيمان بمحبته، والإيمان بعمله.

ولا يجوز لنا أن نقيس وجود الله معنا بالراحة فى العالم. فالمشاكل والمضايقات ليست علامات للتخلى، وليست دليلاً على عدم وجود الله معك. الله يسمح بها، لتأخذ ما فيها من بركة، ومن أكاليل، ومن فوائد روحية. وهى تصيبك لكى تظهر معدنك الطيب كما حدث لإيوب، ولكى تأخذ منها خبرة فى الحياة. وأيضاً لكى تتزكى، ولكى تقويك وتصقلك.

إن أسعد أوقات اللص اليمين، كانت وهو مصلوب مع المسيح.

كن إذن شديداً فى الضيقة. لا تجعل الضيقة تحطمك، إنما حطمها أنت بإيمانك. إن الزجاجة إذا وقعت على صخرة، لا تتحطم الصخرة، وإنما تتحطم الزجاجة. كن إذن صخرة.

٢- لا تعتبر وجود الله فى حياتك مؤقتاً. بل دائماً.

إن المسيح لم يكن مع تلاميذه خلال الأربعين يوماً فقط، وإنما "كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر"...

إن كان معهم فى الأربعين يوماً بطريقة منظورة، فقد كان معهم كل الأيام بطريقة غير منظورة. وكانوا يؤمنون بهذا. بل أن بولس الرسول يقول "لكى أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ" (غل ٢ : ٢٠). إذن كان يؤمن أن المسيح ليس فقط معه، وهو بالأكثر فيه...

لذلك إن حوربت بأن الله ليس معك، قل لنفسك: كلا، إنه معى، ولكننى أنا الذى لا أدرك وجوده، كما حدث مع المجدلية... العيب إذن فينا، وليس فى عدم وجوده.

٣- لذلك ينبغى أن تكون حواسك الروحية مدربة وإن لم تدرك وجوده مباشرة، فستدرك ذلك بالتدريج.

المجدلية لم تدرك وجوده، وظنته البستانى. ولكن الرب عمل فيها، فشعرت به أخيراً، وقالت له "رابونى" أى يامعلم.

والمولود أعمى ظن أنه إنسان بار، ثم نبى، ولما حدثه الرب عن إبن الله، سأل: من هو لأؤمن به، إذ لم يكن إلى هذه الساعة يعرفه. على أنه عرفه أخيراً وآمن وسجد له (يو ٩ : ٣٥ - ٣٨).

السامرية أيضاً عرفته أيضاً بالتدريج وليس من أول وهلة.

والتلاميذ ظنوه خيالاً أو روحاً، ثم آمنوا أخيراً (لو ٢٤ : ٣٧). و لم يؤمنوا فقط، بل نشروا الإيمان فى كل مكان. وقالوا عنه: الذى رأيناه وسمعناه ولمسته أيدينا (١يو ١ : ١ ، ٣).

لا تتضايق إذن إن كان إدراكك ضعيفاً لوجود الله فى حياتك. إنما عليك أن تصلى وتقول [أعن ياربى ضعف إيمانى] وثق أن قوته فى الضعف تكمل (٢ كو ١٢ : ٩).

ملاحظة أخرى هامة جداً أقولها لك، وهى:

٤- لا يكفى أن يكون الله معك، إنما يجب بالأكثر أن تكون أنت أيضاً معه... لك معه شركة.

وليتك تأخذ درساً من ملائكة الكنائس السبع فى آسيا لم يكن الرب فقط معهم، وإنما كان أيضاً ممسكاً بهم، وكانوا فى يمينه (رؤ ٢ : ١). وعلى الرغم من هذا يقول الرب لملاك كنيسة أفسس "عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى. فاذكر من أين سقطت وتب... وإلا فإنى آتيك عن قريب، وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب" (رؤ ٢ : ٤ ، ٥)... عجيب أنه فى يمين الله، وقد سقط، ويحتاج إلى توبه...!

وأخطر من هذا ملاك كنيسة لادوكية الذى يقول له الرب "أنا عارف أعمالك أنك لست حاراً ولا بارداً... هكذا أنا مزمع أن أتقيأك من فمى. لأنك تقول إنى أنا غنى... ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان... فكن غيوراً وتب" (رؤ ٣ : ١٥ : ١٩).

وأخطر من هذين ملاك كنيسة ساردس، الذى يقول له الرب: إن لك إسماً إنك حى وأنت ميت (رؤ ٣ : ١)... ومع ذلك كان فى يمين الله، الرب ممسك به.

إذن لا يكفى بأن يكون الله معك، إنما كن أنت أيضاً معه، بكل القلب والفكر والحواس والإرادة.

٥–ولتكن لك المشاعر الائقة بالوجود فى حضرة الله.

ولعل منها الخشوع. فإن يشوع النبى لما أحس أنه أمام رئيس جند الرب، يقول الكتاب "فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد. وقال له: بماذا يكلم سيدى عبده" (يش ٥ : ١٥). وخلع نعله من رجليه، لأن المكان الذى كان واقفاً فيه مقدس.

وهكذا فعل موسى النبى أيضاً، حينما ظهر له الرب وكلمه فى العليقة التى لا تشتعل (خر ٣ : ٥).

وكما يليق الخشوع بالوجود مع الله، كذلك يليق البر.

لأنه "أية شركة للنور مع الظلمة" (٢ كو ٦ : ١٤).

ويليق بالوجود مع الله الفرح، فقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠). كذلك تليق مشاعر أخرى كثيرة منها الحب والسلام... وغيرها.

وسنتكلم عن هذا كله بالتفصيل فى المحاضرات المقبلة إن شاء الله.

غير إننى أود أن أختم بملاحظة هامة وهى أن فترة الوجود مع الله هى فترة حب، تليق بها سرية العلاقة الشخصية.

مشاعر تحفظ فى سرية...

أربعين يوماً قضاها المسيح مع تلاميذة، ومع ذلك لم يسجل الكتاب مادار فى هذه الأيام من مشاعر ومن أحاديث، إنما جملها سفر أعمال الرسل فى عبارة بسيطة. أما الأناجيل فأشارت بالأكثر إلى شكوك التلاميذ وضعفاهم وكيف عالجها الرب. ولم تذكر لنا حتى تفاصيل يوم واحد من الأربعين يوماً...

هنا وأتعجب من الذين يقفون أمام الناس ليحكوا اختبراهم!!

أين اختباراتكم هذه من اختبارات آبائنا الرسل، الذين لم يسجلوا منها شيئاً، ولم يذكروا سوى ضعفاتهم وشكوكهم...

إن حياة الحب والعشرة مع الله، هى قدس أقداس، يليق بها الصمت. والحديث عنها تعليم غير كتابى...

مريم أخت لعازر، إختارت النصيب الأفضل، وجلست عند قدمى المسيح، تتأمله، وتستمع إليه، ولكنها لم تذكر شيئاً من كل هذا، ولا سجل الكتاب شيئاً منه... إنه قدس أقداس.

وموسى النبى قضى مع الرب أربعين يوماً على الجبل، دون أن يحكى ماذا قال له الرب فيها، وما أعماق هذا العشرة..

وأخنوخ الذى لم يمت، سجلت حياته كلها فى عبارة واحدة تقريباً هى "وسار اخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله اخذه" (تك ٥ : ٢٤). ولم يشرح الكتاب كيف سار اخنوخ مع الرب، ولا أخنوخ تحدث عن هذا إنه قدس أقداس.

وبولس الرسول صعد إلى السماء الثالثة، ولكنه لما نزل ما قص علينا شيئاً مما رآه، بل قال إنه "سمع كلمات لا ينطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها" (٢كو ١٢ : ٤).

لماذا يامعلمنا بولس العظيم لا تحكى لنا اختباراتك، كما يحكى أبناء اليوم؟! مبارك هو صمتك. إنه أيضاً قدس أقداس.

بل أكثر من هذا مريم العذراء، فى كل عشرتها مع المسيح، لعلنا نقول: ليتها حكت لنا تلك الثلاثين سنة التى عاشها المسيح قبل خدمته الجهارية، تلك التى ختم عليها بالصمت... لقد صمتت العذراء. وكانت تحفظ كل هذه الأمور متأملة بها فى قلبها (لو ٢ : ٥١).

إن الصمت وليس الكلام، هو الذى يليق بالروحيات والحب الإلهى والعشرة مع الله، مثلما صمت التاريخ عن تأملات القديس الأنبا بولا السائح خلال ثمانين عاماً من الوحدة.

هكذا صمت التلاميذ عن الأربعين يوماً. وما حدثهم المسيح عنه من الأمور المختصة بملكوت الله، ظهر فى حياتهم وممارساتهم، ووصل إلينا بالتقليد، أكثر مما وصل بالكلام.

ولعلك تقول: لماذا لم يتكلم هؤلاء جميعاً، لنتعلم من حياتهم؟

أقول لك: عش مثلهم، وأنت تعرف حينئذ ما أخفوه.

إجلس عند قدمى المسيح، مثلما جلست مريم، وحينئذ سيقول لك ما قاله لها، أو ما يناسبك من أحاديث أخرى...

وإن أحببت المسيح، كما أحبه الرسل، وتركوا كل شئ وتبعوه، فحينئذ سيحدثك مثلهم عن الأمور المختصة بملكوت الله، ليس فقط على مدى أربعين يوماً، وإنما طول الحياة.

إفتح قلبك لله، وهو يملؤه حباً. وافتح ذهنك له، وهو يضع فيه أجمل الأحاديث. عش معه بكليتك، يفيض عليك من مواهبه ونعمته وقوته، ويحنئذ تقول مع داود فى المزمور:

"إنى اسمع ما يتكلم به الرب الإله".

أما إن أردت أن يحدثك الرب وأن يعطيك، لكى تشرح للآخرين وتحكى، فإنك تكون قد خرجت من سرية الحب، وبدلاً من المخدع المغلق صرت تبوق قدامك بالبوق.

أما إن احتفظت بقدسية العلاقة وسريتها، فإن الله يقول عنك "أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢).[⌖]

[⌖] القيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة يوم الجمعة ١ / ٥ / ١٩٧٠ م.

[٢]

أوقات الإحساس بالوجود مع الله

"حقاً إن الرب فى هذا المكان،

وأنا لم أعلم".

(تك ٢٨ : ١٦)

الفهرس

ما هى أوقات الإحساس بوجود الله؟

متى تشعر النفس بأن الله موجود معها؟

فى الحقيقة، من ضمن الأوقات الأساسية التى نحس فيها بوجود الله معنا.

١- أوقات الضيق والتعب:

وقت الضيق، هو وقت الإحتياج لله. وفيه تشعر بوجود الله، أكثر مما تشعر فى وقت الراحة أو المتعة. تشعر فى الضيقة بيد الله كيف تتدخل وتعمل وتنقذ...

يعقوب أبو الآباء، بدأت خبراته الروحية فى وقت الضيقة.

لم نسمع له عن خبرات روحية ولا مناظر ولا رؤى فى بيت أبيه، ولا صراع مع الله، ولا وعود إلهية، ولا تغيير لإسمه...

ولكن لما قال عيسو "أقوم وأقتل يعقوب أخى" (تك ٢٧ : ٤١) وهرب يعقوب من وجه أخيه هنا بدأ يشعر بوجود الله فى حياته... وفى هروبه وضيقته رأى السلم الواصلة بين السماء والأرض، ورأى الملائكة صاعدة ونازلة عليها، وسمع صوت الله يقول له "ها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك ٢٨ : ١٠ - ١٥). وبدأت ليعقوب سلسلة من الخبرات الروحية فى الحياة مع الله...

ونفس الوضع بالنسبة إلى يوسف الصديق:

لم يدخل فى العشرة الإلهية كما ينبغى، وهو إبن مدلل فى بيت أبيه، له قميص ملون، وأحلام جميلة، تثير حسد أخوته وغيرهم... ولكن لما ألقى فى البئر، ولما بيع كعبد، بدأ يختبر يد الله معه، كيف ينجح طرقه، وكيف يعزيه حتى وهو فى السجن، وكيف يمنحه موهبة تفسير الأحلام، ويمنحه نعمة في عينى حافظ السجن والمسجونين، بل يمنحة نعمة فى عينى فرعون نفسه "والله أراد به خيراً" (تك ٥٠ : ٢٠).

أفضل أيامه الروحية، كانت وهو فى الضيق. أما لما صار وزيراً، فلم نسمع عنه حينئذ رؤى أو أحلام، بل كان رجل إرادة وسلطه. و لم تكن إرادة الرب مكشوفة له وقت مباركة إبنية افرايم ومنسى، كما كانت مكشوفة لأبيه يعقوب الذى عاش فى الضيق (تك ٤٨ : ١٧ – ١٩).

ويونان النبى كانت أعمق روحياته وهو فى بطن الحوت.

حينما كان طليقاً، كان معانداً للأمر الإلهى، متمسكاً برأيه. أما حينما ابتلعه الحوت، وجازت فوقه التيارات واللجج، حينئذ صرخ من جوف الهاوية، فسمع الرب صوته. لما أعيت فيه نفسه، صلى يونان إلى الرب وهو فى جوف الحوت، وقال "حين أعيت فىّ نفسى، ذكرت الرب، فجازت إليك صلاتى... بصوت الحمد أذبح لك، وأوفى بما نذرته" (يون ٢ : ١ ، ٧ ، ٩).

وأمثلة لأنبياء وأبرار كثيرين:

الثلاثة فتية تمتعوا بوجود الله معهم، وهم فى أتون النار. ودانيال النبى شعر بعمل الله لأجله وهو فى جب الأسود.

وبطرس الرسول لمس يد الله معه وهو فى السجن (أع ١٢ : ٦ ، ٧) وكذلك القديس بولس أيضاً (أع ١٦ : ٢٥ ، ٢٦). ويوحنا لم يبصر تلك الرؤيا العظيمة، إلا وهو فى الضيقة، منفياً فى جزيرة بطمس (رؤ ١ : ٩ ، ١٠).

وتلاميذ الرب أبصروا يده معهم، لما اضربت السفينة وهاجت الريح، فأتاهم فى الهزيع الأخير من الليل، وانتهر الرياح.

حقاً، حينما لا توجد حلول بشرية، نبصر يد الرب تعمل.

أحياناً، لما يرتفع الإنسان فى مركزه، يختفى عمل الله من قاموسه. ومن الجائز أن تجد فى هذا القاموس كلمات الشهرة والمال والعظمة والمركز، أما كلمة الله فتكون عزيزة.

ولكن حينما تحل الضيقة تتعلق عيناه بالرب إله.

وهكذا كان بنو إسرائيل فى تاريخهم القديم.

فى فترات المتعة، كانوا ينسون الرب، بل كثيراً ما عبدوا الأصنام. فلما كان الرب يدفعهم إلى أيدى أعدائهم، فيذلون، كانوا حينئذ يصرخون إلى الرب، فيرسل لهم من عنده من يخلصهم، كما يشرح لنا سفر القضاء. بل ما أعمق قول المرتل فى هذه الخبرة "املأ وجوههم خزياً فيطلبون وجهك يارب".

ربما فى قوتنا، نعتمد على قوتنا. وفى التجارب نختبر قوة الرب.

يقول الرب "ادعنى فى وقت الضيق، أنقذك فتمجدنى"

إن إختبار عبور البحر الأحمر، كان فى وقت الشدة.

كذلك ضرب الصخرة التى فجرت ماء، وكذلك السحابة المظللة.

إن أرملة صرفة صيدا، لم تختبر الوجود مع الله وعشرته، إلا فى وقت المجاعة، وحينما مات إبنها. هنا ظهر الله فى حياتها. وبالمثل المرأة الشونمية لما مات إبنها أيضاً...

اننا نتمتع بوجود الله فى وقت الضيقة... ونحس وجوده، ونطلب وجوده ونلمس وجوده... وكذلك نتمتع بوجوده الإلهى فى أوقات الصلاة والتأمل والعبادة.

٢- أوقات الصلاة والتأمل...

الأوقات الروحية مناسبة جداً للشعور بالوجود فى حضرة الله. وهكذا ما كان يحسه آباؤنا القديسين فى خلواتهم ووحدتهم. لذلك كانوا يتركون ضجيج العالم إلى البرارى، حيث ينفردون بالله. ويشعرون بأنهم وجدوه هناك، وأحسوه فى صلواتهم وتأملاتهم.

رؤيا يوحنا ورؤيا بولس:

فى سفر الرؤيا، القديس يوحنا الحبيب، لم يحمد الله فى الضيقة فقط، إنما يقول الكتاب "كنت فى الروح فى يوم الرب" (رؤ ١ : ١٠). كان فى حالة روحية، ملتصقاً بروح الله، مرتفعاً بقلبه إليه، فى يوم مقدس. وفى هذا الجو الروحى، رأى السماء مفتوحة، وأبصر عرش الله، والقوات السمائية تسبحة. القديس بولس الرسول أيضاً، يعطينا نفس الصورة أيضاً فى صعودة إلى السماء الثالثة. كان هو أيضاً فى حالة روحية وصفها بقوله "أو فى الجسد أم خارج الجسد؟ لست أعلم، الله يعلم" (٢كو ١٢ : ٢ ، ٣).

إن الإنسان يحس وجود الله فى الأوساط الروحية، عندما يلتصق قلبه بالله، وتتلامس روحه مع الله.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص، كان أثناء خدمته للقداس الإلهى، يبصر الروح القدس على هيئة حمامة. وأحياناً كان الرب يعلن له من هو مستحقاً للتناول ومن هو غير مستحق...

وكثير من الآباء الكهنة، أثناء القداسات، يكونون فى حالة روحية غير عادية، يشعرون أثناءها بالوجود الفعلى مع الله.

هنا جو روحى خاص: من جهة الإستعداد لهذه الخدمة المقدسة، والاستعداد للتناول، وهيبة الهيكل والمذبح والذبيحة، وجو البخور والصلوات، والقيام الفعلى أمام الله. كل ذلك يعطى شعوراً خاصاً يندر وجوده فى أوقات أخرى...

لذلك أنا أعجب من الذين يطلبون أن يسجل لهم أحد الأباء الكهنة قطعة من القداس فى وقت يختارونه.

إنه حينئذ سيسجل لنا لحناً، ولا يقدم نفس الروح شتان بين تسجيله للحن فى أى وقت، وتسجيله فى وقت القداس الإلهى، فى جو روحى خاص، وفى حالة روحية خاصة! وفى شعور بالوجود أمام الله، بتأثير الذبيحة المقدسة...

بنفس المنطق أيضاً، نقول أن هناك فرقاً جوهرياً بين أن تسمع القداس الإلهى، وأنت فى الكنيسة تعد نفسك للتناول، وأن تسمعة فى بيتك من الاذاعة أو من جهاز تسجيل...

فى وقت الصلاة والتأمل، يشعر الإنسان بالله يملأ قلبه، ويشعر بأن الله يحيط به، كما يشعر أنه واقف أمام الله يكلمه. أنظروا كيف أن المسيح يقول "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى. فهناك أكون فى وسطهم". هذا الشعور بأن الله فى وسطنا، هو شعور روحى يشعر به الإنسان فى وقت الصلاة.

ويشعر أيضاً بأن الملائكة حوله، وبأن أرواح القديسين أيضاً تحيط به، بأن روحاً عميقاً فى داخله يعطيه ما يقوله...

لهذا كانت لاجتماعات الصلاة قوتها و تأثيرها، ولهذا كانت لليالى الصلاة وسهراتها فاعلية عميقة داخل النفس وقوة غير عادية...

نتذكر أن تلاميذ الرب فيما كانوا يخدمون الرب ويصلون، كلمهم الروح القدس، وقال لهم: افرزوا لى برنابا وشاول (أع ١٣ : ٢).

وفى أحدى المرات وهم يصلون، تزعزع المكان من قوة الصلاة، أو من الوجود الإلهى أثناء الصلاة، وامتلأ المشتركون فى الصلاة من الروح القدس (أع ٤ : ٣١).

الصلاة جعلت الرب يحل بمجده فى المكان فشعر المصلون بوجود الله، بأن السحابة قد استقرت على الخيمة.

هنا يشعر الإنسان بالعزاء، وبالفرح والسلام، ويشعر بلذة البقاء فى الصلاة، وأنه يود لو كانت الصلاة لا تنتهى...

وكما قال أحد الآباء عن الصلاة: ومن فرط حلاوة الكلمة فى أفواههم، ما كانوا يريدون أن ينتقلوا منها إلى كلمة أخرى فى صلواتهم.

الذى يشعر بلذة الصلاة، وبوجود الله معه فى الصلاة، لا يحب أن ينتقل من جو الصلاة إلى أى جو آخر بعيد عنها. ولو انتهت صلاته، قد يظل واقفاً، ولو صامتاً، يعز عليه أن ينزع نفسه من هذا الجو الروحى... ولو يقول عبارة واحدة: لا أريد يارب أن أتركك إلى عمل آخر. ولا أريد أن أختم الحديث معك، لكى أتحدث مع أحد سواك...

من هنا كانت الصلاة الدائمة. ليست كعمل تغصبى أو مجرد تدريب، إنما رغبة فى البقاء مع الله أطول وقت...

هناك أوقات كثيرة تشعر فيها بالوجود مع الله، ولكن وقت الصلاة والتأمل هو أعمقها وأقواها...

وماذا أيضاً يشعرك بالوجود فى حضرة الله.

٣- الأماكن المقدسة...

إن جو الكنيسة والأماكن المقدسة، يشعرك بالوجود مع الله، أكثر من شعورك فى أى مكان آخر...

ولهذا نجد إنساناً روحياً مثل داود النبى، يستطيع أن يكون روحياً فى أى مكان ويتمتع بالله... إلا أنه مع ذلك يقول "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب. قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى". "مذابحك أيها الرب إله القوات ملكى وإلهى. طوبى لكل السكان فى بيتك، يباركونك إلى الأبد" (مز ٨٣).

ويقول "واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى، لكى أنظر إلى نعيم الرب وأتفرس فى هيكله" (مز ٢٦).

وهكذا يترنم المرتل بالجبل المقدس، ومدينة الله، ويقول "أساساته فى الجبال المقدسة. أحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب" "أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله" (مز ٨٦) "ههنا موضع راحتى إلى أبد الأبد. ههنا أسكن لأنى اشتهيته" (مز ١٣١) "ببيتك تليق القداسة يارب" (مز ٩٢). "رفعت عينى إلى الجبال، من حيث يأتى عونى" (مز ١٢٠).

إن زيارة لمكان مقدس، لدير، لمغارة قديس، لكنيسة قديمة، قد تكون لها تأثيرات روحية عميقة داخل النفس.

تشعر الإنسان بوجود الله فى هذا المكان، كما قال أبونا يعقوب عن بيت إيل "إن الله فى هذا المكان" (تك ٢٨).

ولهذا يحدث أحياناً كلما أحس الإنسان باحتياجه إلى دفعة روحية قوية، يقوم بزيارة لمكان مقدس، ترجع إليه الشعور بوجود الله معه، أو بوجوده أمام الله، فيلتهب قلبه، لمجرد نظر البناء، أو لمجرد نظر أيقونة معينة لها تأثير فى النفس، أو لمجرد تذكر أن قديساً معيناً عاش مع الله فى هذا المكان...

أو قد يلجأ الإنسان إلى أية واسطة روحية تشعل محبة الله فى قلبه، وتشعره بهذا الوجود الإلهى داخل القلب...

وإن اجتمع تأثير المكان، وتأثير العمل الروحى معاً، فإن هذا يكون أنفع جداً... بل هناك أمكنة تدفع الإنسان دفعاً إلى الصلاة، أو تعطيه عمقاً خاصاً فى صلواته، أو فى تراتيله وألحانه، أو فى تأملاته وقراءاته...

على أن الوجود فى الحضرة الإلهية، قد لا يأتى سببه منا، وإنما من زيارة النعمة لنا، فى وقت لا نعلمه، أو لا نتوقعه، أو لم نعد أنفسنا له...

٤- وقت لا نعلمه...

حقاً، كما قال الرب فى الإنجيل المقدس "إن ملكوت الله لا يأتى بمراقبة" (لو ١٧ : ٢٠).

الروح يهب حيث يشاء.

نحن لا نعلم متى يتحدث الله إلينا، متى يعلن لنا عن ذاته، متى تزورنا نعمته، متى نجد أنفسنا أمام الله...

إنما فى وقت لا نعلمه، يعمل الله فى قلوبنا من حيث لا ندرى، ويشعرنا بوجوده. وهكذا فعل مع القديسين.

فى وقت ما كان يتوقعه موسى النبى، وبطريقة لم تخطر له على بال، كلمه الله من النار المشتعلة فى العليقة، وأعلن له ذاته، وأرسله ليخلص الشعب... (خر ٣).

وفى وقت ما، كلم الله أبانا إبرام، ودعاه للحياة معه (تك ١٢). وجد ابرام نفسه أمام الله، دون أن يسعى إلى ذلك، ودون أن يخطر له هذا على بال، وتكرر الأمر فى حياته مرات... إن ملكوت الله لا يأتى بمراقبة.

كذلك صموئيل النبى وهو طفل. ما كان ينتظر مطلقاً، أن يكون له حديث مع الله، أو أن يختاره لرسالة معينة أو لنبوة، ولكنه وجد نفسه أمام الله فى وقت لا يعلمه ولا يتوقعه...

وبنفس الأسلوب، شاول الطرسوسى فى طريق دمشق، وجد نفسه أمام النور، وأمام دعوة، وأمام عتاب، وأمام المسيح شخصياً. وصار رسولاً من حيث لا يدرى، بل وفى عكس الطريق الذى انتهجه لنفسه.

فى وقت غير معروف، تفتقد النعمة قلب إنسان، فتشعله. كما هو مطلوب منه، أن يتجاوب ويستغل الفرصة.

أنت لا تدرى متى يطرق الله على بابك. كل ما تدريه أنك أن سمعت صوته لا تقسى قلبك، بل تفتح بابك مباشرة، وتقول له فى حب: تعال أيها الرب يسوع.

مشكلة عذراء النشيد، إنها لم تفتح للرب، حينما أتاها طافراً على الجبال وقافزاً على التلال، ولا حينما مدّ يده من الكوة، فأنت عليه أحشاؤها. لذلك قالت فى ألم شديد: "حبيبى تحول وعبر. نفسى خرجت حينما أدبر. طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابنى" (نش ٥ : ٢ – ٦).

فى فترات زيارة النعمة، يشعر الإنسان بوجود الله معه. يشعر بحرارة غير عادية، وإقتراب قلبه إلى إلهه، وبحب عجيب للرب وملكوته، وبرغبة فى الصلاة، وعمق فى التأمل، كما يشعر بسيطرته على فكره وتوجيهه توجيهاً روحياً.

إن رأيت هذا فى نفسك، فتذكر قول الرسول "لا تطفئوا الروح" (١تس ٥ : ١٩). وإن لم تكن فى هذه الحالة الروحية، فلا تحاول أن ترقبها متى تجئ. إنما يكفى أن تقول فى مزاميرك "مستعد قلبى ياالله، مستعد قلبى" (مز ٥٦).

وباستمرار كلما وجدت فى داخلك إشتياقاً روحياً، حاول أن تلهبه بالأكثر. إو وجدت فى داخلك رغبة فى التوبة أو فى الإعتراف، فلا تتوان ولا تؤجل. وإن وجدت رغبة ملحة أن تصلى، فلا تتكاسل. وإن وجدت نفسك قد تأثرت بعظة أو صلاة أو لحن أو ترتيلة، فلا تجعل هذا التأثر يضيع بلا ثمر. إستفد من وجود الله معك، لنموك الروحى.

واحترس من أن يكبر قلبك خلال زيارات النعمة.

وجودك فى حضرة الله، يناسبة التواضع بالأكثر، وانسحاق القلب، والشعور بعدم الإستحقاق، فبهذا يمكن أن يعطيك الرب أكثر فأكثر، لأنه يعطى المتواضعين نعمة (يع ٤ : ٦).

وكلما تجد نفسك مع الله، قل: إنه من أجل إحتياجى سمح الرب أن يفتقدنى بنعمته، وليس ذلك بسبب إستحقاقى.

إنه ليس بجهدنا نكون مع الرب، إنما بحنانه وجوده.

من أجل محبته لبنى البشر، من أجل عدم مشيئته أن يموت الخاطئ. من أجل رعايته وعنايته وأبوته، يفتقدنا بوجوده معنا، حتى دون طلب منا، كما فعل مع تلميذى عمواس ومع شاول الطرسوسى.

تبارك الرب فى عظم محبته. له المجد من الآن وإلى الأبد آمين[⌖].

⌖ القيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى، يوم الجمعة ١٥ / ٦ / ١٩٧٠م.

[٣]

شهوة الوجود مع الله

الوجود مع الله: شهوة

دعوة للآخرين

فرح بالأبدية

الفهرس

شهوة الوجود مع الله...

الوجود مع الله شهوة فى القلب النقى.

الإنسان الروحى يشتاق ان يوجد باستمرار مع الله لذلك نجد داود النبى يقول "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه، كذلك إشتاقت نفسى إليك يالله، عطشت نفسى إلى الله، إلى الإله الحى. متى أجئ وأتراءى قدام الله" (مز ٤٢ : ١ ، ٢). "يالله، أنت إلهى، إليك أبكر. عطشت نفسى إليك... باسمك أرفع يدى، فتشبع نفس كأنها من شحم ودسم" (مز ٦٢) "إليك يارب رفعت نفسى... إياك أنتظرت النهار كله" (مز ٢٤) "طلبت وجهك، ولوجهك يارب ألتمس. لا تحجب وجهك عنى" (مز ٢٦) "التحقت نفسى وراءك" (مز ٦٢) أى جرت وراءك.

وكما يشتاق المرتل إلى الله، يشتاق إلى كل ما يتعلق به، إسمه، بيته، وصاياه...

يقول "محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى" (مز ١١٨) ونقول فى الإبصلمودية "إسمك حلو ومبارك، فى أفواه قديسيك".

وعن كلام الرب يقول "وجدت كلامك كالشهد فأكلته" "كلماتك حلوة فى حلقى. أحلى من العسل والشهد فى فمى" (مز ١١٨). وعن بيت الرب يقول "فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب" (مز ١٢١ : ١) "تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب" (مز ٨٣ : ٢) "واحدة طلبت من الرب وإيها التمس، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى، لكى أنظر إلى نعيم الرب، وأتفرس فى هيكله" (مز ٢٦)

الإنسان الذى يحب الله، يشتاق أن يكون معه فى كل حين، ناموسه هو درسه، وصاياه هى تلاوته، محبته هى الغذاء الذى تتغذى به الروح، ويتغذى به الفكر...

أما الذى يضجر بسرعة، إن جلس مع الله، ويدركه السأم والملل إن طال به الوقت فى الصلاة، أو فى الكنيسة، أو فى قراءة الكتاب أو التأمل الروحى، فهذا إنسان جاف فى قلبه، بعيد عن الحياة الروحية...

بعكس هذا، الإنسان الروحى، الذى يمتلئ قلبه بمحبة الله، فإنه ليس فقط يشتاق إلى الله، وإنما يدعو الآخرين أيضاً...

دعوة الآخرين...

إنه يدعو الكل إلى عشرة الله، ويقول لهم ما قاله المرتل فى المزمور "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٣)

المرأة السامرية، لما تمتعت قليلاً بالوجود مع المسيح، ذهبت تبشر به فى كل المدينة، وتدعو الناس قائلة "تعالوا وانظروا إنساناً قال لى كل ما فعلته" (يو ٤ : ٢٩)... لقد ارادت لهم أن يذوقوا ما قد ذاقته من حلاوة الوجود معه، ولذة الحديث معه، وجمال عشرته، وحلو حديثه.

وهنا الفرق بين المحبة الروحية، والمحبة الدنيوية... محبة العالم، هى محبة أنانية، تريد أن يكون ما تحبه لها وحدها. أما المحبة الروحية، محبة الله وعشرته، فإنها تشرق على الجالسين فى الظلمة، وتريد أن يشاركها الكل فى حبها، وفى الله الذى تتمتع به. لاتريده لها وحدها، إنما للكل...

لما فيلبس تعرف على المسيح، قال لنثنائيل "وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس، والذى كتب عنه الأنبياء" (يو ١ : ٤٥). ولما ذاق يوحنا الرسول حلاوة العشرة مع المسيح، كتب فى رسالته الأولى "إن الحياة أُظهرت، ونشهد ونخبركم... الذى رأيناه وسمعنا نخبركم به، لكى تكون لكم أيضاً شركة معنا... لكى يكون فرحكم كاملاً" (ايو ١ : ٢ – ٤).

كل من يمتلئ بمحبة الله، تراه يفيض من هذا الحب على الآخرين ويدعوهم لمشاركته... وماذا أيضاً؟

الذى يحب الله، يحب الأبدية. وليس فقط يحب الله على الأرض، إنما يحبه أيضاً هناك فى العالم الآخر.

وإذا بمحبة الوجود مع الله، تتحول إلى فرح بالأبدية.

فرح بالأبدية...

إن سمعان الشيخ، لما حمل المسيح على يده، وفرح بهذا الخلاص، صرخ من عمق قلبه قائلاً "الآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك..." (لو ٢ : ٢٨ – ٣٠).

الذين يحبون عشرة الرب حقاً، ويرون ما فى العالم من عوائق المادة والجسد، يشتاقون أن ينطلقوا من هذا الجسد، لكى تكون لهم فرصة أوسع فى عشرة الله، ولكى يكونوا فى كل حين مع الرب (١تس ٤ : ١٧). وهكذا نرى القديس بولس الرسول يقول "لى إشتهاء أن أنطلق، وأكون مع المسيح، فذاك أفضل جداً" (فى ١ : ٢٣). إذن شهوة الإنطلاق هنا، هدفها هو الوجود مع الله، فذاك أفضل جداً...

إن الذى يشعر بلذة الوجود مع الله، لا يهمه الموت، بل على العكس يرى أن الموت هو جسر ذهبى جميل، يوصل إلى حياة أفضل، إلى الفردوس، إلى النعيم، إلى الوجود مع الآب كل حين، إلى التخلص من الحياة فى المادة وما تسببه من معوقات. لذلك يكون تفكيره فى أورشليم السمائية، مسكن الله مع الناس، تفكيراً له أعماقه العاطفية فى القلب...

إن اسطفانوس أول الشمامسة، لما اقترب من الموت، اعنى لما اقترب من الإنتقال إلى عشرة الله الدائمة، كان فرحاً متهللاً. ويقول عنه الكتاب فى تلك اللحظات إنهم شخصوا إليه "ورأوا وجهه كوجه ملاك" (أع ٦ : ١٥). أما هو

فشخص إلى السماء، وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله... وقال "ها أنا أنظر السموات مفتوحة، وإبن الإنسان قائماً عن يمين الله" (أع ٧ : ٥٥ – ٥٦)... وبهذا الفرح انتقل إلى الوجود الدائم مع الله، حيث لا مؤامرات، ولا حنق أعداء، ولا رجم...

لا شك أن الذين يحزنهم الموت والإنتقال إلى الرب، لم يتيقنوا من لذة الحياة مع الله، والوجود فى عشرته المحببة إلى النفس. أو أن البعض يخافون الموت، لأنه يحرمهم من الحياة فى الجسد وفى المادة ومع الناس...

فى القرنين الثانى والثالث للميلاد، حيث كانت أشواق المؤمنين متعلقة فى عمق بالملكوت، كانوا يسعون إلى الموت سعياً من أجل الله، وكانوا يحبون الإستشهاد. بل أن العلامة أوريجانوس والعلامة ترتليانوس، وضع كل منهما كتاباً عنوانه "حث على الإستشهاد". فهذا الإستشهاد سيوصلهم إلى الوجود الدائم مع الله...

تحول الإستشهاد فى تلك العصور إلى شهوة، لأنه يحمل فى طياته شهوة أعمق، هى الوجود الدائم مع الله، حيث يتغنون مع القديس بولس قائلين "ونكون كل حين مع الرب".

هذه الشهوة المقدسة، نزعت من قلوبهم الخوف من الموت. فكانوا ينشدون تلك الأنشوده الجميلة: "إن عشنا، فللرب نعيش. وإن متنا، فللرب نموت. إن عشنا أو متنا، فللرب نحن" (رو ١٤ : ٨).

هؤلاء لا همهم سوى عشرة الله، سواء هنا أو هناك.

فى السماء، يكونون كل حين مع الرب. وعلى الأرض أيضاً يشعرون أنهم مع الله فى كل مكان. كيانهم كله معه...

هوذا داود النبى يقول "تأملت فرأيت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع" (مز ١٦ : ٨). الرب أمامه، والرب عن يمينه، يحيط به من كل ناحية. فما تأثير هذه عليه إذن. يقول بعد ذلك مباشرة "من أجل هذا فرح قلبى وتهلل لسانى. وأيضاً جسدى يسكن على الرجاء" "عرفتنى سبل الحياة. تملأنى فرحاً مع وجهك"...

إنه يشعر بوجود الله معه، هنا وفى الأبدية، لذلك يقول أيضاً "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز ٢٢). ما أجمل شعور المؤمن بأن الله معه، حتى فى وادى ظل الموت...

لذلك يرتل هؤلاء المؤمنين ترتيلة "حيث قادنى أسير". لا يهم أن يقود الله النفس، لكن المهم أن تكون معهم حيثما قادها. ومادامت معه، تشعر بالسعادة والثقة والإطمئنان.

[٤]

طبيعة العلاقة مع الله

الفهرس

لكى نفهم الوجود مع الله، ينبغى أن نفهم أولاً ما هو الله بالنسبة إلينا؟... وبالتالى ما هى طبيعة العلاقة معه؟... وهنا نفهم حالة الوجود مع الله...

إن الله لا يشاء أن يكون مجرد سيد يحكم عبيداً، ولا يشاء أن يكون خوف العبيد وطاعتهم هو أساس العلاقة التى تربط البشرية به. لذلك قال فى وضوح:

"لا أعود أسميكم عبيداً... بل أحباء" (يو ١٥ : ١٥).

وفى هذا الحب، ودرجته وعمقه، قيل عنه إنه "أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو ١٣ : ١). بل إن هذا الحب كان هو السبب المباشر للتجسد والفداء، لأنه "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل إبنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ : ١٦).

وفى محبة الله لنا، دعانا أبناء له...

ويتغنى القديس يوحنا الرسول بهذه الحقيقة فيقول "إنظروا أية محبة أعطانا الآب، حتى ندعى أولاد الله" (١يو ٣ : ١). وأصبحنا حينما نصلى، نوجه صلواتنا إلى هذا الآب السماوى، ونقول له "يا أبانا الذى فى السموات".

حتى جاء السيد المسيح، فأظهرها بجلاء ووضوح. أنظروا كيف أن الله يعاتب البشر فى العهد القديم فيقول "ربيت بنين نشأتهم، أما هم فعصوا علىّ" (أش ١ : ٢). وكأب فى العهد القديم، يخاطب الإنسان بعبارة "يا إبنى أعطنى قلبك" (أم ٢٣ : ٢٦). وقد أدرك أشعياء النبى أبوة الله، فقال له "تطلع من السماء، وانظر من مسكن قدسك، فإنك أنت أبونا... أنت يارب أبونا، ولينا منذ الإبد إسمك" (أش ٦٣ : ١٦). وقال أيضاً "والآن يارب أنت أبونا... وكلنا عمل يديك" (أش ٦٤ : ٨)... والأمثلة كثيرة...

إذن فنحن حينما نتواجد مع الله، نتواجد مع أب يحبنا...

ونقضى الوقت معه، كما يسلك الأبناء مع أبيهم المحب لهم، بنفس الدالة التى للأبناء. ومن الناحية الأخرى، حينما نخطئ، نشعر ليس مجرد شعور العبيد الذين يخافون العقوبة، بل بالأكثر شعور الأبناء الذين يؤلمهم ويحزنهم أنهم جرحوا قلب أبيهم المحب، وتباعدوا عنه بالمعصية، فيسرعون لمصالحته، ليوجد فى كل حين معهم...

وماذا أيضاً؟ هل نحن مجرد أبناء وأحباء؟ كلا، بل هناك ما هو أكثر:

من محبة الله، دعا النفس التى تحبه عروساً له...

هذا واضح تماماً فى العهد القديم، فى سفر نشيد الأناشيد... وفى العهد الجديد يتكلم يوحنا المعمدان عن الكنيسة كلها كعروس للمسيح، ويقول عنه وعنها "من له العروس فهو العريس" (يو ٣ : ٢٦). وفى المجئ الثانى، شبه الرب كل

النفوس التي تحبه بخمس عذارى حكيمات، أخذن مصابيحهن وخرجن لإستقبال العريس (مت ٢٥). ويقول بولس الرسول عن كرازته "خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كو ١١ : ٢)، وشرح فى الرسالة إلى أفسس، كيف أحب المسيح الكنيسة كعروس له، وكيف قدسها وطهرها وأسلم نفسه لأجلها، وقال عن وحدة المسيح بالكنيسة "هذا السر عظيم" (أف ٥ : ٢٢ – ٣٢).

إذن نحن أبناء وأحباء، وعروس للرب، وماذا أيضاً؟

أقول بالأكثر: إنه ونحن كيان واحد، كالرأس والجسد...

حقاً، هذا السر عظيم! إن الرب لم يفصلنا عنه. فنحن جسده وهو رأسنا. المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣)، ورأس كل رجل هو المسيح (١كو ١١ : ٣) وأجسادنا هى أعضاء المسيح (١كو ٦ : ١٥). ونحن أعضاء جسمه، من لحمة ومن عظامة" (أف ٥ : ٣٠). إننى أقف هنا مذهولاً أمام هذه العبارات العجيبة، التى أراد بها الوحى الإلهى توضيح علاقتنا بالمسيح ووحدتنا به...

وقد وضح الرب هذه الوحدة، بعلاقة أخرى غير الرأس والجسد، فقال:

"إثبتوا فىّ، وأنا فيكم... أنا الكرمة، وأنتم الأغصان" (يو ١٥).

الكرمة والإغصان، كيان واحد... كالرأس والجسد...

والغصن لا حياة له، إلا بالثبات فى الكرمة. وهكذا قال الرب "كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته، إن لم يثبت فى الكرمة، كذلك أنتم إن لم تثبتوا فىّ... الذى يثبت فىّ وأنا فيه، هذا يأتى بثمر كثير" (يو ١٥ : ٤ ، ٥).

إذن أكثر من الوجود فى الله، الثبات فى الله...

نثبت فى الله، كما يثبت الغصن فى الكرمة، تسرى فيه عصارة الكرمة وتعطيه حياة... وإن لم تسر فيه عصارة الكرمة، يجف ويموت... ولكن كيف نحصل على هذا الثبوت فى الله؟

لقد قدم لنا الرب أربع وسائط للثبوت فيه:

- فقال "من يأكل جسدى ويشرب دمى، يثبت فىّ وأنا فيه" (يو ٦ : ٥٦).
- وقال القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه، وهو فى الله" (١يو ٤ : ١٥). وهنا قدم الإيمان كواسطة للثبوت فى الله.
- وقال أيضاً "الله محبة. ومن يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه" (١يو ٤ : ١٦).

❖ وأيضاً "من يحفظ وصاياه، يثبت فيه، وهو فيه" (١يو ٣ : ٢٤).

إذن هناك وسائط للثبوت فى الله، هى: الإيمان، والمحبة، والتناول من جسده ودمه، وحفظه وصاياه.

فهل حرصت على هذه الوسائط الأربع؟ وهل شعرت فيها بالثبوت فى الله؟ هل شعرب فيها بوجود الله فيك؟ هذا إن كنت قد مارستها كما ينبغى...

هل رأيتم علاقة فى قوة هذا الثبوت المتبادل؟

ثبوت كالجسد فى الرأس، وكالغصن فى الكرمة... فيه حياة، ولا حياه بدونه... وماذا أيضاً؟ لعلنى أتجرأ وأقول، فى خشية واتضاع قلب...

الوجود مع الله، هو الوجود فى الله...

أو هو وجود الله فينا...

وجود الله فينا، كقول السيد الرب الآب "انا فيهم، وأنت فىّ، ليكونوا فى مكملين إلى واحد" (يو ١٧ : ٢٦). وقوله أيضاً "وعرفتهم إسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧ : ٢٦). وقول بولس الرسول "لكى أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ" (غل ٢ : ٢٠).

هل يوجد مجد أكثر من هذا؟! أو هل توجد متعة روحية أعمق من هذا؟! أن يؤدى وجودك مع الله إلى وجوده هو فيك.. على أننا نلاحظ هنا أن الأمر لا يقتصر على السيد المسيح فقط، وإنما:

كما يكون المسيح فيك، يكون أيضاً الآب والروح القدس:

أما عن روح الله فيك، فيقول الرسول "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله ساكن فيكم" (١كو ٣ : ١٦)، "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم" (١كو ٦ : ١٩)... حقاً إن هذا السر عظيم.

أما عن الآب فيقول السيد المسيح "إن أحبنى أحد يحفظ كلامى، ويحبه أبى، وإليه نأتى، وعنده نصنع منزلاً" أى الآب والإبن معاً (يو ١١ : ٢٣).

هذا عن وجود الله فيك. فماذا عن وجودك فيه؟...

يقول بولس الرسول "... لكى أربح المسيح، وأوجد فيه" (فى ٣ : ٨ ، ٩). ويوحنا الرسول يقول "بهذا نعرف أننا فيه" (١يو ٢ : ٥).

والسيد المسيح يجمل هذا الوجود المتبادل فى قوله "فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فىّ، وأنا فيكم" (يو ١٤ : ٢٠). ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله "إثبتوا فىّ، وأنا فيكم" (يو ١٥ : ٤).

ولكنى لا أزال حائراً أمام عبارة "إثبتوا فىّ، وأنا فيكم". ما معناها؟ ما كنه هذا الثبوت؟ قطعاً لا يمكن أن نثبت فى جوهره، وإلا صرنا آلهه..! وما نحن سوى تراب ورماد... على أن الرب يجيب فى نفس الإصحاح فيقول:

نعم، بالحب نثبت فيه، وبالحب يثبت هو فى قلوبنا... ألم يقل الرسول "الله محبة. من يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه"...

إنه الحب المبنى على الإيمان، كما قال القديس بولس "ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة" (أف ٣ : ١٧ ، ١٨).

إذن نحن بالحب، وفى الحب، نشعر بالوجود فى الله...

لا نشعر فقط بوجود الله معنا، أو وجودنا معه، وإنما نشعر أيضاً – فى محبتنا له – بوجوده فينا، ووجودنا نحن فيه. نشعر أننا أعضاء فى جسده، وأننا ثابتون فيه كثبوت الغصن فى الكرمة، ثبوتاً نأخذ به حياة، ونضارة، ونصنع به ثمراً...

فهل أنت كذلك، تشعر أن حب الله يسرى فيك، ويعطيك حياة، لها متعة روحية خاصة، غير الحياة التى لهذا العالم؟ وهل تشعر أن هذا الحب الإلهى يغذيك ويقويك، ويثبتك فيه، ويشبع نفسك تماماً...؟

فى الحب، نشعر بالوجود مع الله...

وفى الوجود مع الله نشعر بالحب. وبماذا أيضاً؟

لعله من المناسب، أن تكون لهذا الموضوع محاضرة خاصة.

[٥]
مشاعر الوجود مع الله

مشاعر الحب

مشاعر الفرح

مشاعر السلام

الفهرس

مشاعر كثيرة

ما أعمق المشاعر التى تنبت من الوجود مع الله... وما أكثرها. مجرد الإحساس بالوجود مع الله، يجعل النفس ترتفع إلى فوق، فى مستوى أعلى من هذا العالم، وأسمى من الماديات.

وتصبح كل مشاعرها روحية... فى عمق...

ينجذب القلب إلى الله، ويلتصق به فى حب، ويرى أن سعادته كلها فى البقاء هكذا. ويغنى مع داود "أما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب" (مز ٧٣ : ٢٨).

ويود أن يبقى هكذا، لا يفارقه، ولا ينفصل عنه...

يفرح إنه وجد الله، فتتعلق به نفسه، ويقول مع عذراء النشيد "أمسكته و لم أرخه" (نش ٣ : ٤). ويود أن تدوم حياته فى هذا اللقاء مع الله والإحساس بوجوده. وتصبح كل الرغبات الأخرى تافهه فى عينيه، لا تستطيع أن تفصله عن هذه المتعة الروحية التى يجدها مع الرب، فيصيح من أعماقه، مع بولس الرسول:

"من سيفصلنا عن محبة المسيح...؟! (رو ٨ : **٣٥ – ٣٩**).

"... لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبله، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع"... أتستطيع أن تقول هكذا، ولا تسمح لشئ أن يفصلك عن الوجود مع الله؟

يروى فى قصص القديسين عن أحد الآباء الرهبان، أنه كان سائراً فى البرية، مستغرقاً فى صلاته بكل قلبه وعواطفه، فأتى ملاكان وأحاطا به من هنا ومن هناك. ولكنه لم يسمح لنفسه بأن يترك صلاته وينظر إلى أى منهما، بل استمر فى صلواته وتأملاته وهو يقول "من يفصلنى عن محبة المسيح؟ لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة"...

إن مشاعر الوجود مع الله، مشاعر لا ينطق بها...

تحسها، وإن أردت أن تصفها، لا تستطيع... تصل أحياناً إلى مرحلة يبهر فيها الإنسان ويذهل.. فإن استيقظ يشعر بفرح يغمره، ويشعر بميل إلى الصمت، لا يريد أن يخرج من إحساساته الداخلية إلى مستوى الحديث مع الناس...

وكعينة من هذه المشاعر، سنتكلم عن ثلاثة منها:

هى مشعار الحب، والفرح، والسلام. وكلها من ثمار الروح القدس، الذى يسكن قلب الإنسان، ويشعر الإنسان بسكناه وثماره فى أوقات الوجود مع الله...

مشاعر الحب...

فى حضرة الله

مشاعر الحب

فى حضرة الله

يكفيك أيها الأخ المبارك أن تتقابل مع المسيح، تتحدث إليه، تستمع إليه، تكوِّن علاقة معه وتجد فيه كل كفايتك ولا يعوزك معه شئ... تعطيه قلبك، وحينئذ تشعر بتفاهة العالم كله، وتسعد بمحبة الله.

هذا هو الوجود مع الله، حب فى حب، قلب بشرى يتلامس مع الله...

قلب محدود، يتلامس مع القلب غير المحدود، وحب بسيط، يتقابل مع حب لا نهائى. نحن فى حياتنا مع الله، مثل الجدول البسيط الذى يسير حتى يلتقى بالبحر، ويصب فيه، ويختلط بمياهه التى لا تنتهى. نحن قطرة ماء، تسخن بحرارة الحب، وتتبخر فترتفع، لكى تنزل إلى أعماق النهر الكبير... حياتنا مع الله حياة حب.

العشرة مع الله، هى عشرة الحب...

إنها ليست مجرد نظام روحى، أو جدول روحى تضعه لنفسك فى الصلاة والقراءة والتأمل والإجتماعات والمطانيات... كل هذا حسن وجميل. ولكن هل هو نابع عن حب؟ هل فيه اشتياق إلى الله، وعشرة مع الله؟ هل علاقتك بالله هى علاقة حب؟ هل تشتاق إليه كما يشتاق الغصن إلى عصير الكرمة يسرى فى خلاياه؟ أم كل جداولك الروحية رسميات بلا عاطفة؟!

هل أنت تشعر بوجود الله فى حياتك، وجوداً يلهب قلبك بالحب، فتتقد عاطفتك نحو الله باستمرار...؟

هل فى وجودك مع الله، وقت صلاتك، وقت تأملاتك، وقت إحساسك بيده تمسكك وتوجهك، أو وقت إحساسك بيده تربت على كتفك فى حنو، هل فى هذه الأوقات تشعر بمحبة إلهية تملأ قلبك، وتشبعك، وتلهف عواطفك الروحية، فلا تعد محتاجاً إلى أية محبة أخرى إلى جوارها؟

هل فى صلواتك لهجة الحب، وأسلوب الحب؟ وهل إذا صليت لا تريد أن تنتهى من الصلاة، لأن المحبة تجذبك إلى البقاء فى حضرة الله؟

هل قلبك المحب للمسيح، مملوء بالفرح لأنك قد وجدته؟

هل وجودك مع الله، أصبح حياة، وليس فترات؟

أى أنه من شدة محبتك لله، ورغبتك فى أن توجد معه بإستمرار، إزدادت فترات وجودك معه، وظلت تنموا، حتى أصبحت تحس بوجودك فى حضرة الله كل حين، وليس لفترات محدودة تأتى وتنتهى... وهكذا تقول مع معلمنا داود "تأملت فرأيت الرب أمامى فى كل حين...".

إن الذى يحب الله، ويحب أن يوجد دواماً معه، لا يكون الله بالنسبة إليه هو إله مناسبات...!

الله، ليس هو الإله الذى يجده الإنسان فى الكنيسة فقط، فإن فارقها فارقه! وليس هو الإله الذى يجده فى الكتاب المقدس، فإن أغلق هذا الكتاب إنتهت علاقته به! وليس هو فقط الإله الذى لا يجده إلا فى الصلاة والتأمل والتراتيل، وبعدها لا يحس بوجوده...!

إنما هو الإله الذى يحس وجوده معنا فى كل مكان، وفى كل وقت، وفى كل عمل... هو فى حياته على الدوام. وهنا نسأل: من يكون المسيح بالنسبة إلى حياتنا؟

إن المسيح ليس غريباً عنا... إنه فينا:

ليس هو مجرد شخصية تاريخية، قرأنا عنها فى الإنجيل، فعرفنا قصة تجسده وصلبه وقيامته وصعوده إلى السموات... بل المسيح حىّ بيننا، معنا كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر، حسب وعده الصادق (مت ٢٨ : ٢٠). إنه الممسك السبعة الكواكب فى يمينه (أى جميع الرعاة)، الماشى فى وسط السبع المناير الذهبية (رؤ ٢ : ١) أى الموجود فى وسط الكنائس كلها...

حقاً إننا نشعر بوجوده معنا فى صلواتنا، حسبما قال "حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم" (مت ١٨ : ٢٠). ولكن وجوده معنا لا يقتصر على أوقات الصلاة فقط...

وجوده فى حياتنا، أعمق من هذا وأشمل...

ما أروع تلك العبارة التى قيلت عن معموديتنا، التى فيها متنا مع المسيح، وقمنا مع المسيح... وليس هذا فقط، بل يقول القديس بولس الرسول "لأن جميعكم الذين اعتمدتم بالمسيح، قد لبستم المسيح" (غل ٣ : ٢٧)... وأمام عبارة "لبستم المسيح" اقف مبهوراً، أحاول أن اتشرب المعنى على مهل، بالروح لا بالعقل..

وفى حياتنا الروحية، إن كنا قد صولحنا مع الله بموته عنا، فإننا ونحن الآن مصالحون "نخلص بحياته" (رو ٥ : ١٠) أى بحياته فينا، حيث كل حين "يقودنا فى موكب نصرته" (٢كو ٢ : ١٤). فنحن لا نعمل شيئاً من ذواتنا، بل هو العامل فينا. أليس هو القائل "لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥).

إذن نحن لا نستطيع ان نفصل حياتنا عن المسيح.

حياتنا الروحية ما هى إلاَّ "رائحة المسيح الذكية" (٢كو ٢ : ١٥).

ونحن فى حياة الحب معه، وحياة الوجود معه، نحاول أن تكون لنا معه وحدة الفكر، وفى المشيئة، وفى العمل... وبهذا ندخل فى حياة شركة معه.

فالوجود مع الله، يعنى أيضاً الشركة معه.

هذه الشركة التى قال عنها معلمنا يوحنا الرسول "وأما شركتنا نحن، فهى مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح" (١يو ١ : ٣). ومعلمنا بولس الرسول يذكر أيضاً "شركة الروح القدس" (٢كو ١٣ : ١٤). أما معلمنا بطرس الرسول، فيدمج كل هذا معاً فى عبارة واحدة هى "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط ١ : ٤)...

حقاً ما أعجب الوجود مع الله، وما أعجب مواهبه! ونحن طبعاً لا نشترك مع الطبيعة الإلهية فى الجوهر، أى فى الألوهية، وإلا صرنا آلهه؟ فماذا إذن؟

إنها شركة فى الطبيعة الإلهية، فى الفكر والعمل.

من جهة الفكر، يعبر بولس الرسول فى عمق وإيجاز فيقول "أما نحن فلنا فكر المسيح" (١كو ٢ : ١٦). أما عن العمل، فيقول عن نفسه وعن زميله أبولس "نحن عاملان مع الله" (١كو ٣ : ٩). ونحن نصلى فى أوشية المسافرين فنقول للرب "إشترك فى العمل مع عبيدك، فى كل عمل صالح".

والشركة فى العمل، تحتاج أيضاً إلى شركة فى المشيئة، حيث نقول للرب فى كل صلاة "لتكن مشيئتك". وتشمل من معناها "لتكن مشيئتك هى مشيئتنا. ولتكن مشيئتنا هى مشيئتك".

ففى الوجود مع الله، تتحد مشيئة الله والإنسان.

ويقبل الإنسان مشيئة الله فى حب، وفى رضى، وفى فرح. وفى شركة هذه المشيئة، وفى شركة العمل والفكر، يحيا فى بر دائم. لأن الله هو النور الحقيقى "ولا شركة للنور مع الظلمة" (٢كو ٦ : ١٤). وهكذا كل من يتمتع بالوجود مع الله، يحيا فى النور، ويصير من أبناء النور، لأنه "إن قلنا أن لنا شركة معه، وسلكنا فى الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق" (١يو ١ : ٦).

إذن الوجود مع الله، هو الوجود فى البر.

وجودك مع الله، يطهرك من كل خطية، ويثبتك فى الحق، والحق يحررك. وتشعر وأنت موجود مع الله بمحبة كاملة لكل ما هو طاهر ومقدس.

لذلك فأنت تحب الرب لأجل أنه منحك هذا الإنعتاق من أسر الخطية، وجعل الحياة الروحية سهلة عليك، كما تحبه من أجل أنه الخلاص العظيم الذى قدمه لك وللعالم كله.

تحبه لأنك وجدته، ولأنه تنازل ليكون معك.

ومع أنه مرتفع عن السموات، فإنه يجد لذته فى بنى البشر، ويحب أن يكون معنا، ويعمل فينا وبنا. يكلمنا ونكلمه، يحوطنا بعمل رعايته فى حب وإشفاق...

نحبه، لأنه هو الذى يبحث عنا، حتى إن ضللنا عنه، يأتى بنا إليه، حاملاً إيانا على منكبيه فرحاً، هذا الذى أحبنا قبلاً، وأشفق علينا حتى ونحن فى عمق خطايانا.

نحب هذا القدوس، الذى منح نعمة الوجود معه حتى للخطاة والعشارين، وحضر ولائمهم، وتعشى فى بيت زكا، وسمح للمراة الخاطئة أن تلمس قدميه وتقبلهما، تلك التى إشمئز من وجودها الفريسى...

نحب هذا الكامل، الذى سمح بالوجود معه للمجدلية التى كان عليها سبع شياطين، فخلصها منهم، وجعلها من خاصته، ونعمت بالوجود معه حتى وهو على الصليب.

إن أسعد أوقاتنا فى الحياة، هى أوقات الوجود معه.

حتى لو كنا مصلوبين معه كاللص اليمين، أو لو كنا نتألم معه كبولس، يكفى أننا معه. أما أتعس أوقاتنا فهى هى نحس الحرمان معه. لذلك نحرص أن نكون معه كل حين، لا فى علاقة رسمية، إنما فى مشاعر الحب، التى بها إتكأ يوحنا على صدره، والتى بها سكبت الخاطئة دموعها على قدميه، لأنها أحبت كثيراً.

من أجل الوجود معه، عاش آباؤنا فى البرارى.

وكما نقول فى القسمة فى القداس الإلهى "سكنوا الجبال والبرارى وشقوق الأرض، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح". من أجل متعة الوجود معه، تركوا الأهل والمال، وعاشوا فى وحدة كاملة، ليتمتعوا فيها بحبه، منفردين معه فى البرية القفرة، جاعلين شعارهم "الإنحلال من الكل للإرتباط بالواحد".

ومن أجل حبه والوجود معه، ترك آباؤنا الرسل كل شئ وتبعوه، وقالوا له "إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو ٦ : ٦٨).

إنها نفوس هائمة، ليس فى قلوبها سوى محبة المسيح.

إن العقيدة المسيحية فيها الكثير من المبادئ والقيم، والفضائل السامية جداً، والعقائد الروحية السليمة العميقة. ولكن أجمل ما فى المسيحية هو شخص المسيح نفسه.

حتى إن الأبدية بكل فرحها، لا تعتبر نعيماً بدون المسيح. المسيح هو فرحها الكامل، وهو نعيمها الحقيقى.

والوجود مع المسيح فى الأبدية، هو النعيم الأبدى.

إنه هو الذى علمنا الحب، وهو الذى ربطنا مع الله برباط الحب، ونزع كل خوف من قلوبنا، و لم تعد وصية الله مجرد أوامر، إنما هى مجرد تعبير عن الحب، كما يقول "من يحبنى يحفظ وصاياى" (يو ١٤ : ١٥ ، ٢١).

الذى يحب الرب، يحب الوجود معه، والذى يوجد معه يحبه... ويشعر بفرح لا ينطق به لوجوده مع الله.

مشاعر الفرح...

بالوجود فى حضرة الله

مشاعر الفرح

بالوجود فى حضرة الله

حياتنا مع الله، هى حياة فرح به، كما فرح التلاميذ إذ رأوا الرب.

الذين يعيشون مع الرب، يفرحون لأنهم وجدوه، ويفرحون لأنهم عرفوه، ويفرحون لأنهم صادقوه وأحبوه، ولأنهم ذاقوا ونظروا ما أطيب الرب...

حتى فى الآلام التى تحيط بهم، هم يفرحون فى الرب على الدوام. قال الرسول:

"إفرحوا فى الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا" (فى ٤ : ٤).

تسأله: وأنت يابولس، هل تفرح بالرب كل حين؟ فيقول نعم. وتسأل: وماذا عن السجون والضيقات والآلام والضعفات التى تحتملها كل وقت؟ فيخلص الموضوع فى عبارة واحده هى "كحزانى، ونحن دائماً فرحون" (٢كو ٦ : ١٠). أمام الناس، فى ظروفنا الخارجية، فى ضيقاتنا الكثيرة، نبدو كحزانى. أما فى الداخل. فنحن فرحون.

أولاد الله، يفرحون على جبل الجلجثة، كما على جبل التجلى.

يفرحون وهو فى أتون النار، كالثلاثة الفتية الذين كانوا يسبحون الله داخل الأتون، لأن سبب فرحهم كان هو إحساسهم بوجود الله معهم، فكانوا فرحين به...

يفرحون وهم داخل البحر الأحمر، يحيط بهم الماء من هنا وهناك، يحيط بهم، ولكن لا يغطيهم ولا يطغى عليهم. المهم أنهم فرحون بخلاص الرب، وبيد الرب معهم... تماماً مثلما كان بولس وسيلا فرحين فى السجن الداخلى، وأرجلهم مضبوطه فى المقطرة، وهما يسبحان الله بصوت مسموع (أع ١٦ : ٢٤ ، ٢٥)، شاعرين بوجود الله معهم...

كان بطرس فى السجن. وكان الله معه فى السجن. لذلك استطاع ان ينام فى مثل هذه الظروف؟! ولكن بطرس لم يفقد سلامه ولا فرحه بالرب. وكأن لسان حاله يقول: "إن كانت لى صداقه بإله هيرودس، فإن هيرودس سوف لا يضرنى بشئ"...

الشعور بوجود الله، يملأ القلب فرحاً، وينسيه آلامه...

أحد القديسين، علقوه على خشبة وصلبوه. فمن فوق صليبه، كان يعظ الناس، ويدعوهم إلى الإيمان بالمسيح. وحدث فى إحدى المرات أن ثلاثين ألفاً خرجوا من دمنهور إلى الإسكندرية، لينالوا إكليل الشهادة، وهم يسبحون الله فى الطريق، ويغنون الأغانى الروحية، فرحاً بالرب، لشعورهم بوجوده معهم...

وهكذا فعل القديس أبا فام الجندى، حينما لبس أفخر ثيابه، وامتطى جواده وذهب لمقابلة أريانوس، ليستشهد على يديه، قائلاً "هذا يوم عرسى".

إذن إفرحوا بالرب كل حين، كما فرح القديسون بالرب، فى كل ظروفهم وأحوالهم.

ولكن ما أسباب فرح القديسين بالرب؟

إنهم فرحون بصحبته له، وبعشرتهم له، فرحون بالتجديد الذى أخذوه فى المسيحية، بهذه الحياة الجديدة الثابته فى الرب، إذ وجدوا "الأشياء العتيقة قد مضت، وهوذا الكل قد صار جديداً". إنهم فرحون بالحب الإلهى الذى لمس قلوبهم، فطهروا من كل شر ومن كل شبه شر. إنهم – فى تمتعهم بالوجود الإلهى – فرحون بعمل الروح القدس فيهم، فرحون بنعمة الله التى لا تفارقهم.

إنه كما يقول الرسول "فرح لا ينطق به ومجيد" (١بط ١ : ٨). إنه فرح النفس بالرب، فرح لما وجدوه، باعوا كل شئ واشتروه... **إنه فرح روحانى، يختلف عن كل أفراح العالم...**

فرح بملكوت الله داخل النفس... قد يعجب العلم له: كيف تفرحون، وأنتم بعيدون عن كل شهوات العالم وملاذه وترفيهاته ومتعه، بعيداً عن مباهج المادة، ولذة الحواس؟... إن الفرح بالرب هو أعمق لا يستطيع العالم أن يفرحه.

إنه فرح من الداخل، لا يعتمد على أسباب خارجية...

أهل العالم يحصلون على أفراحهم من مصادر خارج نفوسهم... أسباب تختص بالمادة، أو إكرام الناس، أو ما يجذب الحواس، أو بأسباب تتعلق بالأسرة أو بالمركز أو بالجاه والغنى... أما أولاد الله، فيفرحون من الداخل، بسكنى الله فى قلوبهم، وإحساسهم بوجوده معهم، فى داخلهم.

يشعرون بيده فى حياتهم، فيفرحون باستلامه لهذه الحياة وتدبيره لها. يحسون بتعزيات الروح داخلهم فيفرحون. يشعرون بالله يعمل فى قلوبهم، ويغرس فيهم مشاعر مقدسة، ويغسلهم فتبيض أكثر من الثلج، فيفرحون. يحسون أنهم فى حالة روحية، لا يستطيعون التعبير عنها، ويكفيهم أنهم يتمتعون بها...

حتى فى مشاكلهم، يشعرون بأنهم فرحون بالرب...

فرحون بالرب الذى يرونه أثناء المشاكل، يتدخل، ويعطى عزاءً وصبراً وطمأنينة وسلاماً، ويعطى حلولاً ما كانت تخطر على فكر إنسان، لها طابعها الخاص الذى يقنع النفس أنها من عند الله... يفرحون بالرب الذى لا يتركهم وحدهم، وإنما يحسون وجوده معهم.

فى داخل البرية القفرة، فى متاهة سيناء، يرون الله... يرسل سحابته تظللهم وترشدهم نهاراً، ويرسل عمود النور لهم ليلاً... إنه معهم، يرون وجوده فى تابوت عهده، كما يرونه فى الصخرة التى تفجر ماء، وفى المن ينزله من السماء، وفى صوته يتحدث من فوق الجبل... كل ذلك فى متاهة القفر...

إن أولاد الله، دائماً فرحون... فرحون بوجوده معهم...

حالة واحدة تحزن الإنسان الروحى، وهى الإنفصال عن الله.

والإنسان الروحى لا يشعر بالإنفصال عن الله، فهو معه فى كل حين. ولكن هذا الإنفصال يشعر به إن سقط فى الخطية. فالخطية هى انفصال عن الله، وبالتالى هى انفصال عن كل فرح... وهكذا إن سقط إنسان روحى، لضعف، أو لخديعة العدو، أو لأى سبب، فإنه يسرع بالقيام والرجوع إلى الله.

حتى فى سقوطه، يشعر بأن الله يناديه، ويساعده على القيام...

ولولا وجود الله معه، ما قام. إنه هو الذى ينضح عليه بزوفاه فيطهر، ويتوبه فيتوب، بل يبحث عنه كيما يجده. وكما يقال فى سفر حزقيال النبى "أنا أرعى غنمى وأربضها... وأطلب الضال، وأسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح" (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦).

فماذا إن شعر البعض أن الله بعيد وليس معهم؟

يفرحون بالله الذى سيأتى، ولو فى الهزيع الأخير...

إن لم تفرح بوجوده الآن، إفرح بوجوده الآتى "هوذا آت طافراً على الجبال، قافزاً على التلال" (نش ٢ : ٨). إنه على الباب يقرع. فلنفتح له، ونتمتع بوجوده، يكشف لنا ذاته، ويكشف لنا محبته، ويفتح لنا قلبه، ويشعرنا برعايته واهتمامه...

إننا تراب ورماد. ومع ذلك يشعرنا باهتمامه...

عجيب هذا الإله المحب، الذى يعطى أهمية لخليقته بهذا المقدار! "يقيم المسكين من التراب، ويرفع البائس من المزبله، ليجلسه مع رؤساء شعبه" (مز ١١٣ : ٧ ، ٨). هذا الكائن غير المحدود، الإله العظيم وحده، ينظر من علوه المقدس إلى المتواضعات على الأرض...! حتى إن كان درهم مفقوداً، يهتم به، ويبحث عنه إلى أن يجده، فيفرح به، ويدعو الجميع ليفرحوا معه، ويشعره بوجوده فى حضرة الله المحب...

الله موجود معك، فى البر وفى السقوط...

إنه موجود معك، حينما يعطيك القوة أن تمشى معه فوق الماء، مثلما فعل مع بطرس، وأحس هذا القديس بوجوده مع الله.

وحينما يضعف إيمانك، وتسقط فى الماء، مثل بطرس أيضاً، تشعر بوجود الله، الذى يجذبك من الماء، لتمشى معه مرة أخرى... فوق الماء.

لذلك نحن نفرح بالرب كل حين، لأنه موجد معنا فى كل حين، سواء كنا معه أو لم نكن، شعرنا بوجوده أو لم نشعر...

إنه موجود فى حياتنا، ونحن نفرح بوجوده فيها...

ونصلى باستمرار أن نشعر كل حين بوجوده معنا، لكى يزداد فرحنا به... ولكى نشعر نحن بهذه الشركة المقدسة، شركة الله فى حياتنا، وشركتنا نحن معه، فى الحب، وفى العمل...

مشاعر السلام

فى الوجود مع الله

مشاعر السلام

فى الوجود مع الله

إن أول عبارة كان يقولها الرب، حين يلتقى بأحبائه هى "سلام لكم" (لو ٢٤ : ٣٦ ، يو ٢٠ : ١٨). وقبل صلبه، لكى يعزى تلاميذه بأنه سيكون معهم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر، قال لهم "سلامى أترك لكم، سلامى أنا أعطيكم" (يو ١٤ : ٢٧).

كل من يوجد فى حضرة الله، يشعر بسلام عميق.

يشعر باطمئنان داخلى، لوجوده مع الله. يشعر بالسلام الذى يشعر به البحارة حينما يصلون إلى الميناء، فيستريحون فيه. كذلك من يجد راحته فى الرب، يشعر بسلام... مثال لذلك قول القديس أوغسطينوس للرب "ستظل قلوبنا فى قلق، إلى أن تجد راحتها فيك".

فى هذا السلام، يختفى كل خوف، وكل قلق واضطراب.

أن كانت حالة الوجود مع الله، تعنى الإحساس بسكنى الروح القدس داخل القلب، فإن من ثمار الروح محبة وفرح وسلام (غل ٥ : ٢٢). ولا شك أن المحبة والفرح ينشئان سلاماً داخلياً... أخيراً وجدتك يارب، فامتلأ قلبى فرحاً، ولسانى تهليلاً، وأصبح فى قلبى سلام. سلام معك، إذ قد تصالحنا، مادمت أنت موجوداً فىّ وأنا فيك.

يفقد الإنسان سلامه بالخطية، فالخطية هى انفصال عن الله.

فى حالة الخطية، يبتعد الإنسان عن الله، لا يشعر بالوجود معه، لذلك يفقد سلامه حقاً "لا سلام – قال ربى – للأشرار" (أش ٤٨ : ٢٢). هكذا حدث لآدم لما أخطأ، خاف، اختبأ، لأنه انفصل عن الله. وكان من قبل فى سلام، وهو شاعر بالوجود فى حضرة الله. وقايين أيضاً فقد سلامه، وأصبح قلقاً، وتائهاً وهارباً فى الأرض، لأنه انفصل بالخطية عن الله، كما قال "من وجهك أختفى، وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض" (تك ٤ : ١٤).

إن الوجود مع الله هو السلام الحقيقى، لذلك قال المرتل فى المزمور "صرفت وجهك عنى فصرت قلقاً" (مز ٣٠ : ٧). من أجل هذا كانت أعمق صرخة يوجهها المصلى إلى الله هى:

لا تحجب وجهك عنى، لا تطرحنى من قدام وجهك" (مز ٥٠).

إن داود النبى، وهو شاعر بوجوده مع الله، كان يغنى على المزمار والقيثار فى فرح وتهليل، ويدعو الناس إلى مشاركته، فيقول "هللوا للرب ياكل الأرض. اعبدوا الرب بالفرح. ادخلوا إلى دياره بالتهليل" (مز ١٠٠ : ١ ، ٢).

ولكنه لما أخطأ، و لم يعد يشعر بالوجود السابق فى حضرة الله، قال "إشفنى يارب فإن عظامى قد اضطربت، ونفسى قد انزعجت جداً" (مز ٦). هذا الإضطراب وهذا الإنزعاج، ما كان لهما وجود، وهو مع الله. فبالخطية يفقد الإنسان سلامه "الأشرار كالبحر المضطرب، لأنه لا يستطيع أن يهدأ، وتقذف مياهه حمأة وطيناً. لا سلام، قال إلهى للأشرار" (أش ٥٧ : ٢٠ ، ٢١).

ولكن متى يرجع إلى الخاطئ سلامه؟

عندما يتوب، ويعود للوجود مع الله، يعود إليه سلامه...

لهذا عندما يتوب الخاطئ، ويتخلص من حمل خطاياه، ويسمع صلاة التحليل، ويشعر أنه قد اصطلح مع الله، وعاد إلى أحضانه مرة أخرى، حينئذ يشعر بالفرح وبالسلام...

كان فاقداً سلامه لشعورة بأنه قد أحزن روح الله داخله، وانفصل عن الرب، وفقد العزاء الداخلى النابع من الوجود مع الله، و لم تعد له دالة معه، و لم يعد له وجه يستطيع أن يرفعه إليه. أما بالتوبة فقد استعاد كل هذا، ورجع إلى الله وإلى عشرته.

إن الشعور بالحرمان مع الله، قد يفعل ما هو أكثر من فقدان السلام. قد يوصل إلى الكآبة الدائمة، وإلى فقد الأعصاب، وإلى اليأس القاتل، وقد يؤدى إلى الإنتحار كما حدث ليهوذا...

أما الرب – فى وجوده معنا – فيعطى سلاماً لكل من يعتصم به، حتى لأدنس الخطاة...

أنظروا إلى المرأة التى ضبطت فى ذات الفعل، كيف كانت فى خجل مميت، وفى عار، وقد أمسك بها القساة لكى يرجموها بالحجارة... ولكنها لما وجدت فى حضرة الرب، أعاد إليها سلامها. دافع عنها، وخلصها من الذين أدانوها ويريدون قتلها. وقال لها عبارته المملوءة عزاء "وأنا أيضاً لا أدينك" (يو ٨ : ١١)، فمضت من عنده بسلام، سلام من تخلص من الدينونة... كما قال أيضاً للخاطئة التى بلت قدميه بدموعها "مغفورة لك خطاياك... إذهبى بسلام" (لو ٧ : ٤٨ ، ٤٩).

وفى الوجود مع الله، كما يشعر الإنسان بسلام من جهة دينونة خطاياه، يشعر أيضاً بسلام فى ضيقاته ومخاوفه:

حتى إذا "تزعزعت الأرض، وانقلبت الجبال إلى قلب البحار" يصيح المرتل فى ثقة "الرب إله القوات معنا، ناصرنا هو إله يعقوب" ويدعو الناس إلى مشاركته فى فرحه قائلاً لهم "هلموا فانظروا أعمال الرب، التى جعلها آيات على الأرض" (مز ٤٦).

أليشع الذى كان يرى الله وعمله معه، لم يخف حينما كانت جنود الأعداء محيطه بالمدينة، أما تلميده جيحزى فخاف، لذلك صلى أليشع من أجله قائلاً: "إفتح يارب عينىَ الغلام فيرى".

نحن محتاجين أن يفتح الله أعيننا، لنرى وجوده معنا...

حينئذ نطمئن ونحيا فى سلام، واثقين بعمله، وبأن قوة سمائية تحيط بنا، بأن الله قد أرسل ملائكته لتحفظنا من كل شر ومن كل ضربة، وأننا دائماً فى حمى الله الذى نشعر بوجوده معنا. وهكذا فى كل مشكلة تصادفنا، نقول هذه العبارات الثلاثة:

مصيرها تنتهى – ربنا موجود – كله للخير...

بالإيمان أن ربنا موجود معنا، نثق أن كل مشكلة لابد ستنتهى وأن "كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الرب" (رو ٨ : ٢٨). نضع الله بيننا وبين الضيقة، فتختفى الضيقة، ونرى الله وحده، فى محبته وحنانه ورعايته.

وهكذا سلامنا لا ينبع من أسباب خارجية، وإنما من إيمان داخلنا، بوجود الله معنا وبعمله لأجلنا.

الله ضابط الكل، الصانع الخيرات، الحافظ المعين المنقذ...

إننا لا نفكر فى الضيقة، بل فى الله الذى يحلها. أما الذى يركز فى الضيقات، ناسياً وجود الله، فإنه يتعب.

وهذا واضح فى الحياة العملية، بإمثلة كثيرة:

أم يتأخر ابنها الصغير ليلاً، فتضطرب جداً، وتفكر فى حوادث السيارات، وحوادث الخطف، وأذية الناس لإبنها... وتقلق. ترى أين ابنها الآن؟ فى مستشفى؟ أم مات؟ أم في بيت غريب...؟ على أن هذه الأم، لو فكرت فى الله الذى "يحفظ الأطفال" (مز ١١٦) لاستراحت واطمأنت.

مثال آخر: إثنان يبيتان فى مغارة فى الجبل: أحدهما يفكر فى الذئاب والثعابين والحيات العقارب ودبيب الأرض، فيخاف ولا يقدر أن ينام، وينتظر شراً وخطراً فى كل لحظة!! أما الآخر إذ يؤمن بوجود الله معه وحفظه له، يبيت مطمئناً.

إن الظروف الخارجية واحدة، ولكن مشاعر القلوب تختلف!

فيفقد الإنسان سلامه، إن فقد شعوره بوجود الله معه.

طفل فى ميدان عام، يموج بوسائل المواصلات، لا يخاف مادام يشعر بأن يد أبيه ممسكه بيده. أما إن شعر أنه وحده، وأباه ليس موجوداً، فإنه يصرخ فى فزع. هكذا نحن فى شعورنا بوجود الآب السماوى معنا. وهكذا بطرس على الماء، فى شعوره بيد المسيح ممسكه بيده...

إن نظرت إلى البحر تخاف. أنظر إلى عصا موسى...

حينئذ تطمئن، وتشعر بقوة إلى جوارك هى قوة الله العاملة مع موسى وعصاه، وإذ تتأكد من وجود الله وعمله، تتذكر قول موسى "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

بكل اطمئنان وسلام قلبى، كان الشهداء يتقدمون إلى الموت، غير مفكرين فى العذابات، إنما كان يفكرون فى الوجود مع الله فى الأبدية فيمتلئون سلاماً.

فى الوجود مع الله قوة وشجاعة وعدم خوف...

إن القديس بولس الرسول، الذى يشعر بوجود الله معه وفيه، الذى قال "بل المسيح يحيا فىّ" (غل ٢) والذى قال "وأوجد فيه" (فى ٣) وهو أيضاً قال عبارته الخالدة "أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣). كان يشعر بقوة معه، أو بقوة الله معه...

لذلك كان بكل جرأة يشهد لكلمة الله، وكانت لكلماته قوة. وفيما هو يتكلم عن البر والتعفف، إرتعب فيلكس الوالى، الذى كان بولس أسيراً أمامه! (أع ٢٤ : ٢٥).

وإيليا النبى، الذى كان أيضاً يشعر باستمرار بوجوده فى حضرة الله، وكان يقول "حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه" (١مل ١٨ : ١٥). إيليا هذا، استطاع بكل شجاعة أن يذهب إلى آخاب ويبكته (١مل ١٨ : ١٨). وبنفس الشجاعة، يوحنا المعمدان، بكت هيرودس.

بنفس الشجاعة دانيال النبى، صعد إلى علية منزله، وفتح نافذته المطله على أورشليم، وسجد لله العلى، ولم يخف من جب الأسود... إن كان الله موجوداً فى كل مكان، فهو موجود أيضاً بلا شك فى جب الأسود، يستطيع أن يحمى وأن ينقذ...

الذين يشعرون بوجود مع الله، لا يخافون حتى من الشيطان...

إن حياة القديس الأنبا انطونيوس مثال واضح لذلك... بل له مقالة عن ضعف الشياطين. الذين لهم وجود مع الله، ليس فقط لا يخافون الشياطين، بل يطردونهم، لأن الله أعطاهم سلطاناً على قوة العدو، وكما قال الرسول "قاوموا إبليس فيهرب منكم" (يع ٤ : ٧).

جملة جميلة "يهرب منكم"!... منظر رائع أن نرى الشيطان يهرب من إنسان! ولكنه الإنسان الذى يكون الله موجوداً معه. كما كانت تهرب من داود النبى الشياطين التى تحارب شاول، ذلك لأن داود حل عليه روح الرب. وكان الرب معه، وبوجوده معه تخافه الشياطين...

إن الوجود مع الله، وجود البر والقداسة...

وهذه القداسة تخافها الشياطين. إن مجرد ذكر إسم القديسة يوستينة، جعل الشيطان يهرب، فآمن كبريانوس الساحر...

كل إنسان يشعر بوجوده فى حضرة الله، لا يستطيع أن يخطئ، والشرير لا يمسه. مثلما كان يقول يوسف الصديق "كيف أخطئ، وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله"؟!...

الإنسان الموجود مع الله، هذا يسكن فيه روح الله، وبسكناه فيه، تظهر ثمار الروح فى حياته، ومنها الصلاح أى البر، ومنها الفرح والسلام...

لذلك إن أخطأ إنسان، بدلاً من أن نبحث الأسباب الخارجية التى دعته إلى الخطية، علينا أن نسأل سؤالاً واحداً وهو: هل الله موجود فى حياة هذا الإنسان أم لا؟

إن كان الله موجوداً فى حياته، تكون حياته براً وفرحاً...

وتكون حياة محبة وسلاماً. بل تكون حياته هى صورة لملكوت الله على الأرض...

ما أجمل الوجود مع الله. إنه متعة الروح هنا على الأرض، وهو أيضاً نعيمها الأبدى فى السماء.

فهرست

	صفحة
تصدير	٣
١- الوجود مع الله	٤
٢- أوقات الإحساس بالوجود مع الله	١٨
٣- شهوة الوجود مع الله	٢٦
٤- طبيعة العلاقة مع الله	٣٠
٥- مشاعر الوجود مع الله	٣٥
مشاعر الحب	٣٨
مشاعر الفرح	٤٤
مشاعر السلام	٤٩
فهرست الكتاب	٥٥